الدخول إلى أورشليم

جزءٌ من لوح خشبي ثلاثي الأجزاء، يحوي لوحاتٍ تُصوِّر أحداث الأسبوع الأخير من حياة المسيح، بدءًا من دخوله إلى أورشليم، وانتهاءً بنزوله إلى الجحيم.

«وَالَّذِينَ تَقَدَّمُوا، وَالَّذِينَ تَبِعُوا كَانُوا يَصْرُخُونَ قَائِلِينَ: «أُوصَنَّا! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! مُبَارَكَةٌ مَمْلَكَةُ أَبِينَا دَاوُدَ الآتِيَةُ بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي!» (مر ١١: ٧ - ٩).

(من القرن الثالث عشر – مجهولة المصدر)

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٧ أبريل ٢٠٢٣م.

العدد ٦٤٣ برمهات/ برموده ١٧٣٩ش.

المحتويات

تهنئة لقداسة البابا بعيد القيامة المجيد ١

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

القدَّاس حيويَّة الكنيسة ٢

مقال للأب متى المسكين:

الصليب وعظمة المجد..... ٨

من كتابات القديس القمص بيشوي كامل:

سمَّروه على خشبة ١١

أقوال آبائية: إقامة لعازر ١٦

ادخل إلى العمق (٣٢): بكاء المسيح ٢٣

بمناسبة أسبوع الآلام:

الصليب واللص اليمين (٢).....٢٨

من التراث الكنسي: معرفة الله (٣).....٣٣

دراسات ليتورجية:

الحياة الليتورجية لكنيسة الإسكندرية (٣) ٣٨

بحث تاريخي:

أديرة وكنائس قبطية في مصر باسم "القديس أبو فام" ٤٤

تقديم كتاب: الأسس الآبائية لتفسير الكتاب المقدس..... ٥١

مقال بالإنجليزية:

The Cross: A Source of Joy and Glory ٥٦

من تعليم آباء الكنيسة

للقديس يوستينوس الشهيد

الإفخارستيا ذبيحة شكر

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✝❁

[فقلتُ: أيها الرجال،
إنَّ تقدمة السَّميذ التي استلموا
أن يُقدِّموها من أجل المتطهِّرين
من البَرَص (لا ١٤: ١٠)،
كانت رمزًا لخبز الإفخارستيا
الَّذي سلَّمَه لنا يسوعُ المسيحُ ربُّنا،
لنصنعه تَذكارًا للآلام الَّتي تألَّم بها
من أجل البشر الذين يُطهَّرون
في نفوسِهم من كلِّ شرٍّ؛
وذلك لكي نشكر الله
على عدَّة أمورٍ في آنٍ واحد:
- على خلقته الكونَ
وكلَّ ما فيه من أجل الإنسان،
- وعلى تحريره لنا من الشرِّ الَّذي كنَّا فيه،
- وعلى إبادتِه الرئاسات والسلاطين
إبادةً تامَّةً
بواسطة ذاك الَّذي صار قابلًا للألم
بحسب إرادته].

الحوار مع تريفو اليهوديّ: ٤١

مرقس: يصدرها ديـر القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:
مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا
على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
أو على حساب شيكات بريدية رقم:
٠١٣٣١٠٠٠٠٣٠٨٥٨١٨
ويُحظر إرسال أية نقود داخل المظروف بالبريد
أو عن طريق خدمة أورانج وفودافون كاش الخاصة بأرقام المجلة
وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كل عام

ثمن النسخة اثنا عشر جنيها
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
١٢٠ جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)
١٥٠ جنيهًا: داخل مصر (بالبريد)
٤٠٠ جنيه: في البلاد العربية
١٠٠ دولار أمريكي: في البلاد الأخرى
يُسدد عن طريق موقع الدير **على الإنترنت**
عنوان المراسلات: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
مطبعة دير القديس أنبا مقار
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٣
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

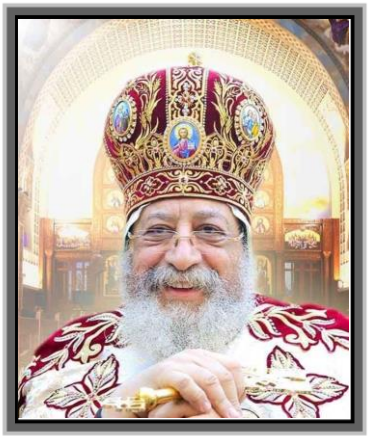

تهنئة بعيد القيامة المجيد لعام ٢٠٢٣م

يتقدَّم مجمع رهبان دير القديس أنبا مقار ببرية شيهيت

وأسرة تحرير مجلة مرقس

بخالص التهنئة إلى

صاحب القداسة والغبطة البابا أنبا تواضروس الثاني

بمناسبة حلول عيد قيامة مخلِّصنا الصالح

وندعو إلهنا الصالح أن يُديم رئاسته للكنيسة

سنين عديدة وأزمنة سلامية مديدة

كما نتقدَّم بالتهنئة إلى أصحاب النيافة آبائنا المطارنة والأساقفة الأجلَّاء

وجميع الإكليروس وشعب الكنيسة المقدَّسة

في بلادنا العزيزة وكل بلاد المهجر

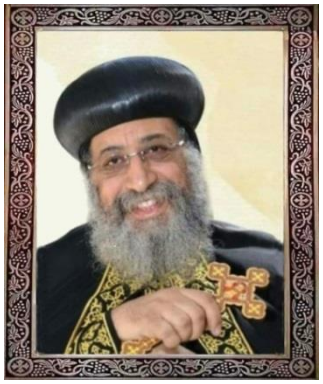

القدَّاس

حيويَّة الكنيسة

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

✠✠✠

«قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ، لأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ» (يو ٦: ٥٣ – ٥٦).

إذا كانت الصحة تعني التوافُق الكامل بين الوظائف الحيويَّة في الجسم؛ بمعنى أنَّ عدم التوافُق في هذه الوظائف سواء: الجسديَّة أو النفسيَّة أو الذهنيَّة، هو "المرض" سواء: أمراض جسديَّة أو نفسيَّة أو ذهنيَّة؛ وتصير الحيويَّة هي صحة الجسم الشاملة؛ فبالمثل، يصير القدَّاس الإلهي الذي هو قمَّة الصلوات الليتورجيَّة، هو حيويَّة الكنيسة وصحتها.

وعندما شرح القديس بولس الرسول مفهوم أنَّ المسيح هو رأس الكنيسة، والكنيسة هي جسد المسيح، وذلك في كافة رسائلهِ وعلى الأخص في رسالتيه إلى أهل أفسس وأهل كولوسي؛ وَضَعَ أمامنا كيف صار يوم الرب (يوم القيامة يوم الأحد) هو رأس الأسبوع (١كو ١٦: ٢)، وصارت قراءات الآحاد عَبْر السنة الكنسيَّة تدور حول خلاص المسيح وخدمته

وعنايته بالإنسان، وصارت بقية أيام الأسبوع الستة تُقدِّم لنا مفهوم الكنيسة، جسد المسيح، من خلال قراءات السنكسار اليومي الذي يُقدِّم لنا صورة الكنيسة عَبْر الزمان.

وهكذا فإنَّ "الكنيسة هي مجتمع المؤمنين المتَّحد بالرأس الذي هو المسيح"، ويُعبِّر عن ذلك كثيرٌ من الآباء مثل: القديس إيرينيئوس، فيقول: "حيث توجد الكنيسة فهناك روح الله، وحيث يوجد روح الله فهناك الكنيسة". ويقول القديس كبريانوس: "مَنْ لا يتَّخذ الكنيسة أُمًّا، لا يمكنه أن يأخذ الله أبًا". وكذلك القديس أُغسطينوس القائل: "يمكننا أن نحصل على كلِّ شيءٍ خارج الكنيسة ما عدا الخلاص"، وهو يقصد المسيح الفادي والمُخلِّص الذي هو قوَّة المؤمن وقوَّة الكنيسة.

وصلوات القدَّاس الإلهي هي قمَّة الصلوات، وسرُّ الأسرار وسرُّ الكنيسة، كما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم، لأنَّ فيه النِّعَم غير المنظورة والتي تُعطَى لنا تحت أعراضٍ منظورة، حيث يحضر المسيح ذاتيًّا في كلِّ الكنيسة من خلال الخبز وعصير الكرمة، ليصير جسد المسيح ودَمهُ الأقدسَيْن. وقد شرح القديس كيرلس عامود الدين هذا حين قال: إن ذلك يكون "كما أنَّ الشمس تُرى في أماكن متفرِّقة من كثيرين وهي واحدة".

القدَّاس الإلهي هو منظومة مُتكاملة من العبادة والتسبيح والشكر والفرح والتهليل والطلب والوحدة والتقوى، في قالبٍ من الألحان والطقوس والصلوات التي تُشكِّل صورةً سمائيةً، كقولنا: "كما في السماءِ كذلك على الأرضِ". ومعاني دراسة هذا السرِّ – سر الإفخارستيا – كثيرةٌ جدًّا، والتأمُّلات فيه تكاد لا تُحْصَى. لكنَّنا سنُركِّز على معنى "القدَّاس حيويَّة الكنيسة"، وذلك من خلال خمسة ملامح أساسيَّة:

أولًا: القدَّاس الإلهي يحفظ وجود الكنيسة:

فالكنيسة ليست هي مجموعة الاجتماعات المختلفة، مثل اجتماع الشباب أو الشابات أو السيدات أو ...؛ لكن الكنيسة هي صلوات القدَّاس. ولذلك فإن صلوات القدَّاس يسبقها تمهيدات كثيرة: من تسبحة وعشية وصلوات نصف الليل.

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم في ذلك: "جعلنا أعضاء جسدهِ من لحمه ومن عظامهِ. ومن أجل حُبِّه، مَزَجَ نفسه بنا. عَجَنَ جسده بجسدنا لكي نصير معه واحدًا،

لنصير جسدًا واحدًا وهو الرأس".

فالقدَّاس يحفظ وجود الكنيسة لتبقى دائمًا حيَّة، بمعنى أنها لا تشيخ، فعمرها الآن عشرون قرنًا من الزمان، ومع هذا فهي ما زالت بكامل حيويتها، وذلك بفضل القدَّاس! ويقول الآباء: "إن المسيحيين يُقيمون سرَّ الإفخارستيا، وسرُّ الإفخارستيا يُقيم المسيحيين".

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم، وهو يتكلَّم بفكر القرن الرابع الميلادي: "الحصون تشيخ مع الزمن، أمَّا الكنيسة فلا تشيخ. الحصون يُحطِّمها البرابرة، أمَّا الكنيسة فلا تقدر عليها حتى الشياطين. كثيرون هاجموا الكنيسة فهلكوا، أمَّا هي فتُحلِّق في السماء".

وقديمًا كان القدَّاس يمكن أن يُقام في أيِّ مكانٍ، في المقابر، في شقوق الأرض، في الحقول. ونقرأ أنَّ الشماس كان يقف ويضع على يدهِ اللَّوح المقدَّس، ويصلِّي الأب الكاهن والشعب القدَّاس في الهواء الطلق، سواءٌ كان ذلك في الحقل أو في الجبل أو في أيِّ مكان؛ وهكذا تفعل الكنيسة الآن؛ فبمجرَّد استخدام اللَّوح المقدَّس في أيِّ مكانٍ، يصير كمذبح، ويمكن أن نُقيم القدَّاس في أيِّ مكان.

ثانيًا: القدَّاس يحفظ جمال الكنيسة:

الإنسان عندما يكون مريضًا، ويوجد عضوٌ من أعضاء جسدهِ لا يعمل جيِّدًا، فلا يكون في كامل لياقته، لكن إن كانت كل أعضاء جسده سليمة، يكون في حالة تناغُم، وهذا التناغُم يُعبَّر عنه دائمًا بالجمال. لذلك القدَّاس الإلهي يحفظ جمال الكنيسة في صلواتها وطقسها. مثال ذلك: عندما يصرخ الشمَّاس ويقول: "قبِّلوا بعضكم بعضًا بقبلةٍ مقدَّسة"، فقد تعوَّدنا أن تكون هذه القُبلة الرسوليَّة من خلال أن نُسلِّم بعضنا على بعضٍ بأيدينا. وقُبلة المُصالحة هذه يُقدِّمها كل شخصٍ للشخص الذي يجلس بجوارهِ، وهذا يرمز إلى أنه يُقدِّمها للعالم كُلِّهِ، وكأنَّ الإنسان يتصالح مع العالم كُلِّهِ، وهذا شكلٌ من أشكال الجمال. وعبارة "قبِّلوا بعضكم بعضًا" تعني أيضًا: إن الإنسان لا يحمِل في قلبهِ ضغينة لأحدٍ، وبها تعهُّدٌ لله أن يكون القلب نقيًّا.

فالكنيسة ناصعة البياض، وهذا البياض هو توبة الإنسان، ونسمع في القدَّاس الشمَّاس يقول: "أيُّها الجلوس قفوا". المقصود هنا ليس الوقوف المادي، لكنه وقوف

الإنسان بعيدًا عن أيِّ خطية، والوقوف هو علامة استعداد، وكأنَّ نداء الشماس: "أيها الجلوس قفوا" هو نداء توبة.

ثم يُتابع الشمَّاس بقولهِ: "إلى الشرق انظروا"، وفي هذا النداء علامة استعداد لمجيء المسيح الذي سيأتي من المشارق. كل هذا يُمثِّل جمال الكنيسة من خلال القدَّاس، ولذلك كثيرٌ من الآباء يُسمُّون القدَّاس "سرّ الشركة". فالكاهن له دور، والشمَّاس له دور، والشعب له دور. وكأنَّ وحدتنا مع المسيح هي اتِّحادٌ لنا جميعًا في "شركة المحبة".

ثالثًا: القدَّاس يحفظ قداسة الكنيسة:

الكاهن هو الإنسان الذي يُصلِّي القدَّاس، ويجب أن يكون مُشرطنًا بسرِّ الكهنوت، والشعب يأتي إلى الكنيسة في حالة توبة. وقديمًا كان الجلوس في مقاعد الكنيسة يُقسَّم إلى خورس التائبين وخورس المؤمنين وخورس الباكين. ويتقدَّم الإنسان عندما يقول الأب الكاهن: "القُدْسات للقدِّيسين". وهذا يعني أنَّ الإنسان نقَّى قلبه تمامًا، والنقاوة في فكر الكنيسة هي شكلٌ من أشكال القداسة، كما يقول الكتاب: «لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ» (١بط ١: ١٦).

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم عن القدَّاس الإلهي: "بهذه العطيَّة تتزيَّن نفوسُنا وتتجمَّل". ويقول أيضًا: "إن كنتَ لا تقدر أن تُقَبِّل مَلِكًا بفمٍ قذِر، أتُقبِّل ملك السموات بنفسٍ دنسة؟!"، فيا له من انتهاكٍ للقُدْسات! فلا نستطيع أن نستخدم آنية ملوَّثة في تقديم الأسرار، فنُقدِّم الأسرار في أوانٍ لامعةٍ حتى تصير نفوسُنا أيضًا لامعة.

فالقداسة هي أن يقترب الإنسان من شخص المسيح أكثر فأكثر، كما نقول في صلاة باكر: "بنورِكَ يا ربُّ نُعاين النور". فالنقطة الرئيسية في صلاة القدَّاس هي عمل التوبة، والقدَّاس ليس عملًا ميكانيكيًّا، لكنه حضورٌ حيٌّ وفعَّالٌ للمسيح. ونحن نتقدَّم لكي نتناول جسد المسيح ودمَهُ الأقدسَيْن: «مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ» (يو ٦: ٥٦). وتقول بعض الكتابات إنَّ العمل الليتورجي يجعلنا ملائكة عِوَض عن كوننا بشرًا. وفي أثناء التوزيع نُرتِّل قائلين: "سبِّحوا الله في جميع قديسيه". ومن العبارات الشعبية المشهورة: "آنستك النعمة"، أي "صارت النعمة فيك".

رابعًا: القدَّاس يحفظ مسكونية الكنيسة:

كلمة "مسكونية" تُعبِّر عن العالم كُلّه، أو العالم الذي يسكنه البشر. فالعمل المسكوني أو الحركة المسكونيَّة هي عمل يشمل الكنيسة عَبْرَ العالم كُلّه. والكنيسة عندما تُصلّي القدَّاس، لا تُصلّي محليًّا فقط، أي لا تُصلّي من أجل حدود جغرافيَّة، لكنها تُصلّي من أجل العالم كُلّه؛ فهي تُصلّي من أجل المياه والهواء والعُشب والزروع. وتُصلّي أيضًا من أجل رئيس الأرض وكافة المسؤولين والمرضى. وتُصلّي في الأواشي قائلة: "اذكر يا رب سلامة كنيستك الواحدة الوحيدة المقدَّسة الجامعة الرسولية"، وأيضًا: "اذكر يا رب هذه الكائنة من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها". فالكنيسة لها مسؤولية عن كل المسكونة.

ونحن نُصلّي من أجل المُسافرين والراقدين. فصلوات الكنيسة في القدَّاس تشمل الحياة كلها، لذلك نقول إن القدَّاس يحفظ مسكونيَّة الكنيسة. والكنيسة نفسها في ترتيبها تصلّي صلواتٍ شاملةً من أجل كلّ أحد. فالكنيسة تُصلّي من أجل العالم كلِّهِ، وهذه نظرة مهمة جدًّا. لأن المسيحيَّة لا تعرف الجغرافيا، فالمسيحيَّة للعالم كُلِّهِ والمسكونة كلّها، وحلول الروح القدس لم يكن باللغة المحلية، ولكن بلغاتٍ عديدة (حوالي ست عشرة لغة)، لأن الكنيسة للعالم كُلّه. ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "أتُريد أن تُكرِّم جسد يسوع؟ لا تتغافل عنه وهو عُريان. لا تُكرِّمه هنا في الكنيسة بثيابٍ فاخرة، وفي الخارج تغفل عنه وهو يموت من البرد والعُري". بمعنى أن الإنسان يأتي إلى الكنيسة بثيابٍ فاخرة، وهو ينسى المُحتاج الذي يُريد أن يحتمي من البرد. وقال ذهبي الفم أيضًا: "أنتَ تكسو المذبح بكسوةٍ فاخرة، وتترك المذبح الحي"، أي تترك الفقير والعُريان. فصلوات القدَّاس تدفع الإنسان إلى خدمة أيِّ إنسانٍ، وخصوصًا: الفقير والمُحتاج والبائس.

خامسًا: القدَّاس يحفظ وظيفة الكنيسة:

القدَّاس عبارة عن مستودع فيه العقيدة والطقس واللحن والتعبير اللاهوتي، والتعليم والكرازة والعبادة وكل شيء. القدَّاس يحفظ دور الكنيسة، فتبقى الكنيسة حيَّة من جيلٍ إلى جيل. فمثلًا لا توجد آية في الكتاب المقدَّس تُعلّمنا كيف نرشم الصليب! لكن من خلال الليتورجية نتعلَّم كيف يتمُّ رَشْم الصليب؛ وهكذا نتعلَّم كثيرًا من خلال القدَّاس الإلهي. فالقدَّاس هو مستودع عقائدنا، فمثلًا عقيدة الثالوث القدوس واضحة في كلِّ

مراحل القدَّاس، وكأنَّ القدَّاس هو الذي حفظ لنا هذه العقيدة.

فعقيدة الثالوث واضحة من أول رفع بخور عشية وباكر والقدَّاس، ودورة الحَمَل، وتحليل الخُدَّام. وفي البركة الختامية نقول: "محبَّة الله الآب ونعمة الابن الوحيد ربنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح وشركة وموهبة وعطيَّة الروح القدس، تكون مع جميعكم".

فصلوات القدَّاس هي نسيجٌ من عقائدنا، ويتَّضح هذا من خلال الطقس الذي نُصلِّي به في القدَّاس، فنحضر في صحن الكنيسة ونستمع إلى القراءات والعظات؛ ثم ننتقل بعد القراءات والعظات لندخل في صُلب القدَّاس والتقديس؛ ثم ننتهي بأن نتناول الجسد والدم من على المذبح المقدَّس. إذن، فالقدَّاس يحفظ دور الكنيسة ووظيفتها وعملها في حياة الإنسان.

الخُلاصة: إن القدَّاس الإلهي هو حيويَّة الكنيسة. فاحضرْ، أيُّها الحبيب، القدَّاس وعِشْ فيه وادخل إلى أعماقهِ، ليس كمجرَّد طقوس أو عقائد، لكن كحياة، كما يُعلِّمنا الكتاب: «مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ» (يو ٦: ٥٤).

وفي آخر القدَّاس، يقول الأب الكاهن الاعتراف الذي يحوي هذه الثلاثية الهامة: "يُعطَى عنَّا خلاصًا، وغُفرانًا للخطايا، وحياةً أبديَّة لكلِّ مَنْ يتناول منه". وهذا التواصُل بين السماء والأرض: "يُعطَى عنَّا خلاصًا"، أي خلاص المسيح الذي تمَّ منذ قرون؛ "وغُفرانًا للخطايا"، أي الخطايا التي يصنعها الإنسان؛ ثمَّ "وحياةً أبديَّة لكلِّ مَنْ يتناول منه". وكأنَّ القدَّاس الإلهي هو على مرِّ الزَّمن، في الماضي والحاضر والمستقبل. إنه حيويَّة الكنيسة وصحَّتها.

البابا تواضروس الثاني

مقال للأب متى المسكين

الصليب وعظمة المجد[١]

⦿✠⦿

سرُّ الصليب هو سرُّ مجد المسيح وقدِّيسيه:

طوبى للحزانى لأنهم يتعزَّون، طوبى للمصلوبين لأنهم يتجلَّون،

طوبى للمنسحقين لأنهم يملكون، طوبى للجياع لأنهم يُشبَعون.

حيث تُنسى هناك كل أوجاعهم، وتُمسح دموعهم، وينمو موضعها نورٌ يشير إلى الأهوال التي اجتازوها وإلى سرِّ المجد المتحصَّل منها، ويشرح عِظَم صبْر الإنسان وقوة مراحم الله، حيث تبدو النسبة بين مقدار الألم ومقدار المجد المتحصَّل منه نسبة غير معقولة ومُضحكة. فيرى الإنسان عيانًا ويكتشف أن الآلام كانت فخًّا مقدَّسًا نصبه الله ليصطاد به الإنسان إلى مجده. فاحتمال الألم أقوى من العبادة.

ويقول أحد القدِّيسين إنه رأى في رؤيا جماعة الشهداء بمناظر مُذهلة في مجدٍ يفوق مجد الملائكة الذين كانوا معهم في نفس الرؤيا، ورأى حول أعناق الذين ماتوا منهم ذبْحًا بالسيف زهورًا حمراء كعقدٍ موضع الذبْح تُضيء وتتلألأ بمنظرٍ يخطف الأبصار أشدَّ لمعانًا من كلِّ نورٍ آخر ظهر في الرؤيا!

إن سرَّ الصليب بالنسبة للمسيح هو سرُّ مجده! فالألم الساحق الذي عاناه الرب تحت وطأة التمزيق النفسي بسبب الظلم، والالتواء الذي شاهده أثناء المُحاكمة مع خيانة التلاميذ وتسليم يهوذا، وإحساسه أنَّ حياته ثمَّنها رؤساء الكهنة باتفاقٍ مع أحد التلاميذ بثلاثين من الفضة!! هذه كلها كانت مّعْبرًا من عالم التفاهة المُتناهية إلى مجد الآب. وعلى هذا المَعْبر عينه يلزم أن تمرَّ أقدام الإنسان في كلِّ زمانٍ ومكان.

آلام الصليب لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلَن فينا:

الصليب بآلامه الرهيبة لا يُمكن أن يساوي المجد الذي تحصَّل منه. الصليب لم يُصادف

---

(١) من رسالة رقم ٩٦، من كتاب "رسائل القمص متى المسكين"، الطبعة الأولى ٢٠٠٧، ص ٣٩٤.

الرب في طريق حياته، ولكنه وُلد له: «لأَجْلِ هذَا أَتَيْتُ إِلَى هذِهِ السَّاعَةِ» (يو ١٢: ٢٧). الإنسان يُولد للألم، والألم مولودٌ للإنسان. ولكن، في نفس الوقت، الصليب لم يكن إلزامًا حتميًّا على الرب، كما نشعر من كلامه، وكما نتأكَّد من جهة قداسته ولاهوته؛ ولكن هو نفسه جعله إلزامًا حتميًّا على نفسه: «الْكَأْسُ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ أَلاَ أَشْرَبُهَا؟» (يو ١٨: ١١)، لكي يُشاركنا في حتمية الألم؛ فبدا الله، في شخص المسيح ابنه ظاهريًّا، أنه يتألم اضطرارًا، حتى يجعل اضطرار الألم مساويًا لاختياره، حتى لا يُحرم أي إنسان في الوجود من رحمة الله، ويمتدُّ الصليب ليشمل كل مَنْ تألم ظلمًا.

إن الألم بحدِّ ذاته عثرة كُبْرى لعقل الإنسان، فالعقل لا يُجيز الألم كواسطة لأيِّ خير، لأن في المعرفة خلوصًا من الألم، وهو يُجاهد في ميدان الطب مثلًا وفي الميادين الأخرى لكي يُلغي الألم ويُريح الإنسان. ولو دققنا التأمل نجد أن مُحاولة التربية والتعليم بكل صنوفها من أول محاولة الإنسان تعلُّم الألف باء إلى الصاروخ، هي مُحاولة أساسية لتُجنيب الإنسان الألم والتعب والعَوَز.

لذلك، فحتمية الألم لدى العقل أمرٌ عسير وشاقٌ جدًا، بل ومُحال قبولُها، لأن الرضى بالألم هو بعينه إلغاء العقل وكل نشاطه. فالصليب عثرة فعلًا لدى اليونانيين، كما يقول بولس الرسول، أي عثرة الفلسفة، لأن الفلسفة تُحاول جاهدةً الوصول إلى الله عن طريق التأمل الأفلاطوني الحُر الخالي من التضحية أي الألم المؤدِّي إلى الموت. وهذا اللون من الاجتراء العقلي في مُحاولته البلوغ إلى الله دخل في فترةٍ ما المسيحية عن طريق التصوُّف الوثني ولوَّثها. فأوريجانوس يقول بإمكانية الاتحاد بالله عن طريق التأمل جاعلًا الله في الوضع الاستاتيكي (الثابت) والعقل في الوضع الديناميكي (المُتحرِّك)؛ أي ثبَّت الله في نقطة وجعل العقل هو الذي يسعى إليه. هذا اجتراءٌ وثني ناتج عن عدم شعور الإنسان بأُبوَّة الله ونزول المسيح وتودُّد الروح القدس ودخوله قلب الإنسان. والحقيقة عكسية: فالإنسان دائمًا أبدًا في الوضع الاستاتيكي، والله هو الذي يتحرَّك نحوه "ليأتِ ملكوتك". منتهى تحرُّك الإنسان هو أن يكون يقظًا لتحرُّك الله مُستعدًّا لمجيئه: «ثَابِتٌ قَلْبِي يَا اَللهُ، ثَابِتٌ قَلْبِي» (مز ٥٧: ٧).

الصليب هو استعلان محبة الله لنا:

فلو أدركنا أن الصليب هو أعظم مظاهر تحرُّك الله على الصعيد العياني المنظور الذي

فيه تجلَّى الله للإنسان (أكثر من تجلّيه على جبل تابور)، والصليب هو الألم في صورته العظمى التعسُّفية الظالمة؛ حينئذ نحسُّ أن الصليب هو الدَّابة (إن جاز التعبير) التي ركبها الله القدير وانحدر عليها من مكان سُكناه هناك، من موطن احتجابه الأزلي، وجاء إلينا وصافحنا يدًا بيد.

الصليب هو قوة ديناميكية الله الفائقة التي أحدرت الله إلينا (بالتجسُّد)، واستعلنته واضحًا بواسطة الألم. الألم هو – بصورته المادية – جُمودٌ وانحصارٌ وتوقُّف؛ ولكن – بجوهره الروحي – تحرُّك وأيُّ تحرُّك!

الإنسان يظل متوقِّفًا روحيًّا، وعاطلًا عن المسير، راجعًا مع المسيح إلى الله إلى أن يحمل صليبه.

الألم يُدخِل الإنسان في سرِّ الصليب، سرِّ التحرُّك الإلهي، فلا يتوقَّف كميت؛ بل يسير مشدودًا إلى المسيح، مُنقادًا ومُنجذبًا من ألمٍ إلى ألم، إلى أن يبلغ الآب محمولًا على صليبه تابعًا المسيح.

المسيح سَكَبَ فينا قوة الحب وقوة الصليب:

الإنسان يستحيل أن يتحرَّك نحو الله عقليًّا، فالعقل مهما بلغ بالتأمل، إنما يكتشف الله وحسب ويكتشف نوره وحبَّه ويسعد ويرتد. التحرُّك الحقيقي كائنٌ بالمسيح، فهو ابن الله الآتي إلينا على الصليب، وعلى الصليب نتبعه إلى الآب.

هو يقول: «بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا» (يو ١٥: ٥). ليس هذا احتكارًا تعسُّفيًا لإرادتنا، ولا هو بسبب قصورنا في المعرفة، لأنه عرَّفنا بكل شيء؛ ولكن لأنه الوحيد كابن، فهو يحمل قوة التحرُّك نحو الله الآب.

والمسيح يحمل قوة حركتَيْن: حركة من الله الآب نحونا، وحركة منا نحو الآب. **الأولى** طبيعية، وهي جوهرية كائنة في سرِّ الحب نحو خليقته؛ **والثانية** مُكتسبة بالصليب، أي الألم الفدائي، الذي أهَّله أن يحمل الإنسان الميت ويصعد به!

والمسيح سَكَبَ فينا سرَّ هاتَيْن القوَّتَيْن: قوة الحب، وقوة الصليب (الألم). وبقبولنا هاتَيْن القوَّتَيْن يعمل المسيح فينا سرًّا لنتحرَّك به ومعه إلى أن نصل إلى الآب، ويتمُّ بهما وفيه السرُّ الأعظم؛ **سرُّ الاتِّحاد بالله**.

من كتابات القديس
القمص بيشوي كامل

سمَّروه على خشبة[1]

❁ ❀ ❁

أولًا: معنى المسمار:

(أ) لقد أحْدَثَت المسامير في يديك ورجليك الطاهرتين، يا ربي، أثرًا لن يُمحى من جسدك إلى الأبد. **ربي يسوع،** دعني أنحني كما انحنى بطرس ودخل القبر. دعني أنحني داخل هذه الجراح! سأجد منظرًا رهيبًا: سأجد خطاياي وشهوات قلبي، عندئذ سأتأكَّد تمامًا أنه ليس هناك قوة في الوجود تقدر أن تُسمِّرك على الصليب سوى خطاياي.

أذكُر سيدة، مُحبَّة للمسيح، زرتها في منزلها، فوجدتها قد رسمت صورة كبيرة لقدم السيد المسيح، وواضح فيها المسمار، والجرح فيها كبير. وعندما سألتها عن معنى هذه الصورة، قالت: لكي أرى بوضوح خطاياي، التي سبَّبت هذه الجراح!

(ب) عندما دُقَّ المسمار في الرِّجلين، تفجَّرت ينابيع الدم لغسل خطاياي. إن التأمل في جروح المسامير يدفعني لإدراك أمرين خطيرين؛ الأول: عِظَم خطاياي، والأمر الثاني: هو عِظَم مراحم الله ومحبته للخطاة، ولكن أيضًا قوة الدم في الغفران: «إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّرًا اِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ» (كو٢: ١٤).

ثانيًا: "وبالمسامير التي سُمِّرتَ بها، أنقذ عقولنا من طياشة الأعمال الهيوليَّة" (الأجبية):

ربي يسوع: إن المسامير الذي سُمِّرتَ بها تعني أنك أعطيتني القوة لتسمير طياشة الأعمال الهيوليَّة. أنت تعلم، يا ربي، أن نفسي طائشة، سريعة الحركة والجولان، أفكاري طائشة، أعمالي طائشة، أحلامي طائشة. ميولي جامحة، يا نفسي إلى أين أنتِ سائرة؟

إلهي سمِّر خوفك في قلبي كي لا أخطئ إليك.

سمِّر يديَّ، كي لا تصنعا الشر.

سمِّر رجليَّ، كي لا تذهبا إلى مكانٍ أنت لستَ فيه.

---

(١) مقالة للقديس القمص بيشوي كامل، نُشرت في مجلة مرقس، عدد مارس ١٩٧١.

سمِّر فكري، كي لا يُفكِّر إلَّا فيك.
سمِّر شهواتي، كي لا تشتهي أحدًا إلَّا أنت.

يا نفسي: لقد أعطاكِ يسوع قوة مسامير الصليب، السلاح القوي لضبط أهوائك، فعندما تهيجُ عليك ضعفات، اركعي تحت الصليب لمدة دقائق بسيطة، وتأمَّلي المسمار الذي سمَّر خطاياكِ على الصليب. إن عملية التسمير تحتاج للطرق بالمطرقة بقوة على المسمار. لذلك، يا نفسي، كوني قوية ولا تُهملي الطَّرْق على المسمار بالصلاة، وبالتأمل في مسامير الرب يسوع، حتى تثبت أفكارك فيك، وحتى تنضبط أهواؤك.

ربي يسوع: إن نفسي مُبعثرة، كقطعة أثاث مُفَكَّكة، وتنتظر أن يُثبِّتها النجَّار الماهر في مكانها بالمسامير حتى تصير قوية وسليمة. **يا ربي يسوع،** أيها النجَّار الماهر، إن نفسي مُخلْخلة، وفكري مُشتَّت، وحياتي مُهلْهلة، إنها محتاجة لمسمارك المقدَّس لتُثبِّتها، وتخلق منها نفسًا قوية، كما صنعتَ في حياة القدِّيسين التائبين.

من أجل ذلك يا إلهي:

(أ) سمِّر ذاتي:

إن الجندي الروماني استمرَّ في عمله حتى تأكَّد أن جسد الرب ثَبَتَ تمامًا على الصليب. وأنتِ، يا نفسي، ستظلِّين مُخلْخلة ما دامت ذاتكِ لم تثبت على الصليب. هذه الذات المُتمرِّدة، العدو اللدود، التي جعلتْ آدم يحسب ذاته مثل الله حتى طُرد من الجنة، وهي التي طردت نبوخذنصَّر من إنسانيته. إنها الذات المُحبَّة للمديح، والمُحبَّة للسيطرة والظهور والمراكز.

ربي يسوع: سمِّر ذاتي معك على الصليب، لأقول: "مع المسيح صُلبتُ، مع المسيح سُمِّرتُ". آمين، يا ربي، سمِّر كرامتي، سمِّر محبة المديح، سمِّر محبة الظهور، ومحبة السيطرة.

(ب) سمِّر إرادتي:

إلهي يسوع: إن المسمار في جسدك يعني اللاحركة، يعني أنك أسلمتَ ذاتك للإنسان لكي يُقيِّدك بلا حركة على الصليب، ولكن قلبك يقول: «أيها الآب لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ» (لو٢٢: ٤٢)، «لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانٌ الْبَتَّةَ، لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ فَوْقُ» (يو١٩: ١١).

ربي يسوع: أريد أن تذوب إرادتي في إرادتك، وأومن أن كل الأمور تعمل معًا للخير. اجعلني أثق أن ليس لأحدٍ سلطان عليَّ، إن لم يكن قد أُعطي من فوق. أعطِني أن أومن أن شعور رأسي مُحصاة أمامك. ساعدني لأخضع لإرادتك أنت، لا لإرادتي، وأقول كل يوم: «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ... لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ» (لو ١١: ٢). والتسليم لإرادتك، معناه احتمال الألم والمرض بدون تذمُّر، فأثق أن المرض ليس له سلطانٌ عليَّ أكثر من تسمير رجليَّ ويديَّ، ولكن روحي ستظل قويَّة وحيَّة بالمسيح.

(ج) سمِّر العالم لي:

«وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ» (غل ٦: ١٤). فالصليب قد صَلب العالم لي، أمات العالم لي. فهذا العالم الشرير الذي يسبي كثيرين، أنت قد سمَّرته لي، يا إلهي، إذ قلتَ عنه: «... أَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ» (يو ١٤: ٣٠)، «ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ» (يو ١٦: ٣٣). محبة العالم التي أثارت الأخ ضد أخيه، وأقامت الحروب، وأسقطت الأقوياء في الخطية.

هذا العالم بكل سلطانه لم يستطع أن يُغري أنطونيوس، لا بالمال ولا بسيرة النساء.

هذا العالم غلبه أثناسيوس، عندما قالوا له: "العالم كله ضدك يا أثناسيوس"، فردَّ عليهم: "وأنا أيضًا ضد العالم".

هذا العالم الذي غلبه أولاد الملوك مكسيموس ودوماديوس، عندما خلعوا التيجان وألقوها عن الرؤوس.

هذا العالم الذي غلبه أحد القديسين عندما قال: "وضعتُ قدمي على قمة هذا العالم عندما صرتُ لا أشتهي شيئًا ولا أخاف شيئًا".

يا نفسي: ثقي أن يسوع قد غلب العالم لي (يو ١٦: ٣٣)، أما غلبتنا نحن فهي إيماننا بالذي غلب العالم: «لأَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ يَغْلِبُ الْعَالَمَ. وَهَذِهِ هِيَ الْغَلَبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا. مَنْ هُوَ الَّذِي يَغْلِبُ الْعَالَمَ، إِلاَّ الَّذِي يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ؟» (١يو ٥: ٤، ٥).

ربي يسوع: يا مَن سمَّرتَ العالم لي، دعني أذوق طعم هذه الآية: «الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ» (غل ٦: ١٤). إلهي، يا من فعلتَ في حياة القدِّيسين عَبْر الأجيال،

سمِّر العالم الآن في أعين شبابنا، سمِّر موضات اللّبس أمام بناتنا، سمِّر محبة المال وشهوات العالم أمام شعبك، سمِّر كل إغراءاته أمام الكنيسة.

(د) سمِّر حياتي فيك:

إن النفس البشرية سريعة الحركة، سريعة الجولان في كلِّ الاتجاهات المتضادة، وليس هناك مَنْ يضبطها فيك إلَّا مسامير محبتك التي سُمِّرتَ بها على الصليب.

ربي يسوع، إنني أشكو دائمًا أني غير ثابت في حبِّك، فأحيانا أُحبُّك، ثم تسبيني محبة العالم، وعندما أبحث عن محبتي الأولى لك لا أجدها!

متى، يا ربي، يصبح حبُّك ثابتًا في قلبي؟ أَعطِني في كل مرة أتأمل مساميرك أجد حبَّك مُسمَّرًا في قلبي.

ساعدني لأكون مثل إغناطيوس الشهيد الذي قال: "لا أعتقد أنني أحبُّ سيدي يسوع المسيح دون أن يُسفك دمي كله لأجله".

ربي يسوع، سمِّر حبي فيك، سمِّر إيماني بك، سمِّر نظري إليك، سمِّرني كي لا أرتفع من فرط الكبرياء، سمِّر وداعتك واتضاعك في قلبي.

أين ألتقي يسوع؟

يا نفسي، لماذا تسألين أين تلتقين بيسوع؟ ألستِ تعلمين أن المسمار قد حَدَّد مكان يسوع على الصليب. والطريق الوحيد للقاء يسوع هو أن تتحرَّكي إلى المكان المُسمَّر عليه يسوع، أي إلى الصليب.

ولكي تبقي في ديمومة معه، عليكِ أن ترتفعي معه، بكل ما تمتلكين: بفكركِ، بقلبكِ، بقدرتِكِ، وتُسمِّري ذاتكِ معه. لذلك، يا نفسي، إن لم تتدربي على البقاء حاملة الصليب، فثقي أنك لن تتشرَّفي بالوجود الدائم معه.

يا نفسي: إنَّ احتمالكِ أيَّ ألمٍ أو مرضٍ أو ضيقٍ بشكر يُشعل نار الحب الإلهي فيكِ، ويرفعكِ إلى شركة أمجاد الصليب. وتأكَّدي، يا نفسي، أن هروبكِ من التجارب والألم والضيق، يعني عدم لقائكِ بيسوع، مهما كان منهج عبادتكِ الروحية؛ فالذي لم يذُقْ طعم المسامير، لن يصل إلى يسوع، المُسمَّر على الصليب.

آثار المسامير بعد القيامة:

للمسامير أثرٌ لن يُمحى إلى الأبد في جسد المُخلّص. رآه التلاميذ ففرحوا وملأهم السلام. رآه توما فآمن. نراه الآن بالإيمان، وسنراه في الأبدية بالعيان، فنُدرك أعماق حبِّ الله.

(١) أثر المسامير مصدر فرح:

«وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ، فَفَرِحَ التَّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ» (يو٢٠: ٢٠).

أثر المسامير شهادة أبدية على محبة الرب لنا، وعلامة أبدية لنزول الدم والغفران.

أثر المسامير مصدر فرحٍ وعزاء للنفوس المجروحة والحزينة شريكة آلام الرب يسوع.

أثر المسامير مصدر فرحٍ وقوة للنفوس المُجاهدة في صَلْب الذات وتسمير الشهوات.

(٢) أثر المسامير علاجٌ لمرضى الشكِّ:

عندما تضعف نفوسنا أمام أحداث هذا العالم، أمام بطش شرِّه وانتشاره، يظهر لنا يسوع ويقول: «ثُمَّ قَالَ لِتُومَا: هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا» (يو٢٠: ٢٧).

عندما تَشُكِّين، يا نفسي، في قدرة النصرة على الخطية، ضعي يدكِ مكان المسمار شهادةً على قوة القيامة.

المسمار في قلب العذراء الأُم:

أيتها القديسة العذراء، مَن ذاق ألم المسمار قدركِ أيتها الأُم؟! إنَّ كلَّ طَرْقة من طَرَقات الجندي الروماني على المسمار، كانت تُدوِّي في قلبكِ.

❖ "أمَّا العالم فيفرح لقبوله الخلاص، وأمَّا أحشائي فتلتهب عند نظري إلى صلبوتك الذي أنت صابر عليه من أجل الكل، يا ابني وإلهي" (الأجبية، الساعة التاسعة من النهار).

أيتها العذراء، صلِّ عنا، اشفعي فينا أمام ابنك الحبيب، آمين.

إقامة لعازر

للقديس أُغسطينوس[1]

❖✠❖

مقدِّمة:

تحتل إقامة لعازر مكانة أساسيَّة من حيث صداها وسط جميع المعجزات التي أجراها ربنا يسوع المسيح. وحينما نتذكَّر جيدًا مَنْ الذي أجراها، فهذا يدعونا لأن نفرح بالأَوْلى عِوَضًا عن أن نتعجَّب. إنسانًا أقامه خالق الإنسان، وحيد الآب الذي به خُلِقَ كلُّ شيء. وإن كان كلُّ شيء به قد خُلِق، فما هو العَجَب في أنه أقام إنسانًا في حين أنَّ كثيرين يأتون إلى العالم كل يوم بقوَّته؟ إن خِلْقَة الناس أعظم من إقامتهم ثانيةً من الموت. ومع ذلك فهو قد تنازَل ليخلق ويُقيم ثانيةً معًا؛ ليخلق الكلَّ وليُقيم البعض ثانيةً. لأنه مع إنَّ الربَّ يسوع أجرى كثيرًا من مثل هذه الأعمال، إلَّا أنه ليست جميعها مكتوبة (يو ٢٠: ٣٠)؛ ولكن اختيرت مثل هذه الأعمال لتُكتَب لأنها بَدَت كافية لخلاص المؤمن.

إن الربَّ يسوع أقام ميتًا للحياة، وهذه هي مسرَّته، إنه يستطيع أن يُقيم جميع الأموات إلى الحياة. وقد احتجز هذا العمل بالذات لنفسه خاصةً حتى نهاية العالم. لأنه إن كنتم قد سمعتم أنه أقام واحدًا من القبر بعد أربعة أيام، فإنه هو نفسه يقول: «تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ» (يو ٥: ٢٨ – ٢٩).

---

(1) N. & P. N.F., Ist Seties, Vol. VII, p. 270-278.

يُعتَبَر الاحتفال بسبت لعازر وتلاوة معجزة إقامة لعازر من الموت، فيه لمحة بارعة من الطقس الكنسي تحمل معاني عميقة، حيث كان معروفًا عن أيام السبوت أنها رمز الراحة والتوقُّف عن أعمال الحياة ونهاية الخليقة الترابية. ولكن بعد معجزة هذا اليوم يُعلِن سبت لعازر عن بداية جديدة للحركة والحياة وفكٍّ ختوم الموت. وهكذا تجعل منه الكنيسة أحدًا صغيرًا أو قيامةً صغرى. وتتلو علينا الكنيسة أيضًا هذا الفصل من الإنجيل في قدَّاس الأحد الرابع من شهر أبيب، حيث تدور قراءاته كلها عن كرازة الرسل كتعبيرٍ عن طبيعة وماهيَّة إرساليتهم، أي إقامة موتى الخطية إلى الحياة.

معجزات مُقارنة:

إننا نقرأ في الإنجيل عن ثلاثة أموات أقامهم الرب إلى الحياة، ودعونا نبحث في ذلك عن بعض المنفعة. لأن أعمال الرب ليست مجرَّد أعمال، بل آيات.

الأموات الثلاثة الذين أقامهم الرب يُشيرون بصورةٍ رمزية إلى قيامة النفس التي تكمل في الإيمان:

- لقد أقام الرب ابنة يايروس وهي بعد راقدة في المنزل. إشارة إلى مَنْ يرتكبون الخطية فقط في أفكارهم، هؤلاء قد قتلتهم الخطية ولكن موتهم داخلي، لأن الفكر الشرير لم يتطوَّر بعد إلى فعلٍ خارجي.
- وأقام ابن أرملة نايين وهو محمولٌ خارج أسوار المدينة، إشارة إلى مَنْ يُضمِرون فكرًا شريرًا ويفعلونه أيضًا، ولكنهم إن تابوا يُرجعهم الرب إلى أُمهم الكنيسة.
- وأقام لعازر بعد موت أربعة أيام في القبر. وهذا نوعٌ خطير من موت الخطية، لأنه يتَّصف بالاعتياد عليها حتى يصبح الخاطئ مقبورًا فيها، ويُقال عليه بحقٍّ: إنه «قد أنتن» ورائحته الكريهة تفوح منه. ولكن قوة الرب يسوع لا تقصر أيضًا عن أن تُعيد مثل هذا الميت إلى الحياة. فليت لا ييأس أحدٌ قط ...

«يَا سَيِّدُ، هُوَ ذَا الَّذِي تُحِبُّهُ مَرِيضٌ»:

لم تجرأ الأُختان على القول: "تعالَ واشفِهِ"، وكذا لم تقولا مثل قائد المئة: "قُل كلمة من هناك وسوف تُنفَّذ ههنا"، بل قالتا: «هُوَ ذَا الَّذِي تُحِبُّهُ مَرِيضٌ»، فالدَّالة هي كل المطلوب لمَنْ يحب ... يكفي فقط أن تعرف، لأنك لستَ مثل مَنْ يحب ويتخلَّى، بل إنك تحب حتى الخطاة.

«هذَا الْمَرَضُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ، بَلْ لأَجْلِ مَجْدِ اللهِ»:

إن هذا التمجيد لم يُضِف شيئًا إلى مجد الرب، بل إنه لمنفعتنا، حيث يقول: إنه «لَيْسَ لِلْمَوْتِ»، فإجراء المعجزة كان ليؤمن الناس بالمسيح ولينجوا من الموت الحقيقي. ولنلاحظ كيف أنَّ الربَّ دعا نفسه هنا، كما بطريقةٍ غير مباشرة، الله، لأنه يُكمِل قائلًا: «لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ اللهِ بِهِ»، لأن هناك مَنْ يُنكرون أنَّ ابن الله هو الله. وبماذا سيتمجَّد؟ بذلك المرض!!

«وَكَانَ يَسُوعُ يُحِبُّ مَرْثَا وَأُخْتَهَا وَلِعَازَرَ»:

كان واحدٌ مريضًا والأُختان حزينتين، كانوا جميعًا محبوبين: إن مَنْ أحبهم هو المُنقذ من المرض، بل وأيضًا المُقيم من الموت والمُعزِّي للحزين: «فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ مَرِيضٌ مَكَثَ حِينَئِذٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ يَوْمَيْنِ». وطال الوقت إلى أربعة أيام ولم يكن ذلك عبثًا، فحتى هذا العدد له دلالة سرائرية. «ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ قَالَ لِتَلَامِيذِهِ: لِنَذْهَبْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ أَيْضًا». لقد غادرها منذ قليل ليهرب ظاهريًّا من الرجم، لأنه رحل منها كإنسانٍ ورجع إليها، كما لو كان قد نَسِيَ كلَّ عداوة فيها، ليُظهِر قوَّته الإلهيَّة. وإذ كان التلاميذ مُتعجِّبين ومُرتعبين من ذلك، قال لهم يسوع:

«لِعَازَرُ حَبِيبُنَا قَدْ نَامَ. لكِنِّي أَذْهَبُ لأُوقِظَهُ»:

لقد مات لعازر بالنسبة للأُختين، أمَّا بالنسبة للمسيح فهو نائمٌ فقط. مات بالنسبة للناس الذين لم يستطيعوا إقامته ثانية، أمَّا الرب فقد أقامه من القبر بسهولةٍ كبيرة كما نُقيم نحن نائمًا من سريره. إذن، فهو قد دعاه "نومًا" نسبة لقوَّته الخاصة. والكتاب يتكلَّم أيضًا كثيرًا عمَّنْ ماتوا أنهم ناموا (رقدوا) (١تس ٤: ١٣)، لأنه يُنبئ بذلك عن قيامتهم؛ وهكذا فكل الأموات يرقدون، أبرارًا وأشرارًا، ولكن تمامًا مثل الذين ينامون ويستيقظون يومًا فيومًا.

وقال التلاميذ للربِّ على قدر إدراكهم: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كَانَ قَدْ نَامَ فَهُوَ يُشْفَى»، لأن نوم المريض يدلُّ عادةً على عودته للصِّحة. ولكن يسوع كان يقول عن موته وهم ظنوه يقول عن نومه، لذا: «قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ حِينَئِذٍ عَلَانِيَّةً: لِعَازَرُ مَاتَ». لقد كان يعرف ذلك حتى وهو بعيدٌ حينما أخبروه أنَّ لعازر مريض فقط، لأنه ماذا يمكن أن يُخفَى عليه من أَمْر لعازر وهو الذي خلقه، وقد قَبِلَ روحه عند موته؟ وهذا هو السبب في أنَّ الربَّ أكمل قائلًا: «وَأَنَا أَفْرَحُ لأَجْلِكُمْ إِنِّي لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ، لِتُؤْمِنُوا»، أي حينما يتعجَّبون الآن من إعلان الرب لموت لعازر الذي لم يَرَه ولم يسمع به. حقًّا كان التلاميذ يؤمنون مُسْبَقًا بالربِّ من معجزاته، ولكنه قَصَدَ بهذه الكلمة أن يزداد إيمانهم ويصبح أكثر كمالًا وقوَّة.

«أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا»:

لم تَقُل مرثا للرب: "أنا أطلب منك أن تُقيم أخي حيًّا ثانية". لأنه كيف يمكنها أن تعرف أن هذه القيامة ستكون ذات نفع لأخيها؟ بل قالت فقط: «لكِنِّي الآنَ أَيْضًا أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللهِ يُعْطِيكَ اللهُ إِيَّاهُ»، أي: "أنا أعلم أنك تستطيع وكل ما تُسرُّ به

تعمله، لأن عملك يتوقَّف على حُكْمك وليس على طلبي". قال لها يسوع: «سَيَقُومُ أَخُوكِ». ولكنه لم يقُل إنه سيُقيمه الآن، لذا كان لسان حالها: "إني متأكِّدة من هذه القيامة، أمَّا أنه يقوم الآن فلستُ متأكِّدة". قال لها يسوع: "حسنًا لأن مَنْ سأُقيمه في الزمان الأخير، سأُقيمه الآن أيضًا لأني «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ»" ...

«مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ»:

"مَنْ آمن بي حتى ولو كان ميتًا مثل لعازر، سيحيا لأني لستُ إله أموات بل إله أحياء، أنا إله إبراهيم وإسحق ويعقوب"، لأن الجميع عنده أحياء (مت ٢٢: ٣٢؛ لو ٢٠: ٣٧، ٣٨). آمنوا، إذن، وحتى لو كنتم أمواتًا فستحيون، أمَّا إن لم تؤمنوا فحتى في حياتكم فأنتم أموات. ولنذكر برهانًا على ذلك: إنَّ واحدًا أراد مرَّة أن يتبع المسيح، لكنه قال له: «ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلًا وَأَدْفِنَ أَبِي. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: اتْبَعْنِي، وَدَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ» (مت ٨: ٢١ – ٢٢).

كان هناك ميتٌ ينبغي أن يُدفَن، وكان هناك أيضًا أمواتٌ يدفنون الميت: كان الأول ميتًا بالجسد، وكان الآخرون مائتين بالروح. وكيف تموت الروح؟ حينما ينقصها الإيمان. وكيف يموت الجسد؟ حينما ينقصه الروح. إذن، فحياة الروح هي الإيمان. يقول المسيح: «مَنْ آمَنَ بِي»، فحتى لو كان ميتًا بالجسد سيحيا بالروح؛ حتى يقوم الجسد أيضًا ثانيةً لكي لا يموت بعد أبدًا. هذا هو «مَنْ آمَنَ بِي»، فرغم موته سيحيا. «وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا "بالجسد" وَآمَنَ بِي»، فرغم أنه سيموت يومًا ما موت الجسد، «فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ»، من أجل حياة الروح وخلود القيامة. هذا هو معنى كلمات الرب هذه: «أَتُؤْمِنِينَ بِهذَا؟ قَالَتْ لَهُ: نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، الآتِي إِلَى الْعَالَمِ». حينما أومن بأنك أنت هو القيامة، وأنت هو الحياة، أومن أنَّ مَنْ يؤمن بك، فرغم أنه يموت سيحيا؛ وكل مَنْ يحيا ويؤمن بك لن يموت أبدًا ...

«فَلَمَّا رَآهَا يَسُوعُ تَبْكِي ... انْزَعَجَ بِالرُّوحِ وَاضْطَرَبَ»:

هناك أمرٌ يريد الإنجيلي أن يوحي لنا به من هذا التعبير. لأنه مَنْ يستطيع أن يضطرب بإرادته إلَّا هو نفسه؟ وعلى ذلك انتبهوا، يا إخوتي، إلى القوَّة التي أدَّت إلى ذلك، ثم انظروا إلى المعنى:

- أنت تضطرب ضد إرادتك، أمَّا يسوع فقد اضطرب بإرادته.
- يسوع جاع، هذا حقٌّ، ولكن لأنه أراد ذلك.

- يسوع نام، هذا حقٌّ، ولكن لأنه أراد ذلك.
- يسوع حزن، هذا حقٌّ، ولكن لأنه أراد ذلك.
- يسوع مات، هذا حقٌّ، لأنه أراد ذلك.

بقوَّته الخاصة حدث هذا، وهو قد أراد هذا الأمر دون ذاك. لأن الكلمة أخذ نفسًا وجسدًا، موفِّقًا على نفسه كل طبيعتنا البشرية في وحدانية أُقنومه. لأن نفس الرسول (يوحنا) قد استنارت بالكلمة؛ ولكن ما قيل عن أحدٍ قط: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا» (يو ١: ١٤)؛ وما قيل عن أحدٍ قط: «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» (يو ١٠: ٣٠). إنه مسيحٌ واحد. والكلمة استخدم الضعف رهن إشارة إرادته؛ وهذا هو معنى: "اضطرب". هذا عن القوَّة التي أدَّت إلى هذا.

أمَّا عن المعنى، فنحن قد رمزنا بميت الأربعة الأيام وبدفنه إلى مجرمٍ كبير. فلماذا اضطرب الرب إلَّا ليُوضِّح لك أنه كان ينبغي أن تتضايق أنت إذا سقطتَ وتحطَّمتَ تحت ثقل إثمٍ كبيرٍ هكذا؟ لأنك أنت هنا تنظر لنفسك وتُبصر ذنبك الخاص وتعمل حساب نفسك، وأنا فعلتُ هذا، والله أنقذني؛ أنا ارتكبتُ هذا، والله احتملني؛ أنا سمعتُ الإنجيل واحتقرته؛ أنا قد اعتمدتُ ورجعتُ إلى سلوكي القديم. ويحي، ماذا أنا فاعل؟ وإلى أين أنا ذاهب؟ أنَّى لي أن أهرب؟ حينما يكون هذا لسان حالك، فالمسيح يضطرب فعلًا، من أجل إيمانك! وكل مَنْ يضطرب هكذا، يأتي إلى نور رجاء قيامته ثانية ...

«بَكَى يَسُوعُ»:

ليت الإنسان يحزن جدًّا على نفسه. لأنه لماذا بكى المسيح، إلَّا ليُعلِّمنا أن نبكي؟ ولماذا انزعج بالروح واضطرب، إلَّا ليُوضِّح لنا أنَّ مَنْ يتذرَّع فقط بحجة عدم الرضى عن نفسه، جديرٌ أن يكون ذلك بمعنى الانزعاج من تبكيت الضمير للأعمال الشريرة، حتى ما يتبدَّل اعتياد الخطية ويُعطي مجالًا لندم التوبة الشديد؟

«أَيْنَ وَضَعْتُمُوهُ؟»:

هل تعرف، يا رب، أنَّ لعازر مات ولا تعرف مكان دفنه؟ لا بد أن المعنى هنا، أن الإنسان الهالك يصبح كما لو كان **مجهولًا** لدى الله. إني لم أجرؤ على القول إنه يكون **مجهولًا** – لأنه أيُّ شيءٍ غير معروف لديه – ولكن كما لو كان **مجهولًا**. وكيف نُبرهن على ذلك؟ اسمعوا الرب المُزمع أن يقول في الدينونة: «إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي»

(مت ٧: ٢٣). ماذا يعني ذلك: «إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ»، أي إنني لا أراكم في نوري، في ذلك البرِّ الذي أعرفه. فهكذا قال هنا أيضًا، كأنما هو لا يعرف شيئًا عن مثل هذا الخاطئ: «أَيْنَ وَضَعْتُمُوهُ»؟ وقد تكلَّم الله بمثل هذا الكلام أيضًا في الفردوس بعد ما أخطأ الإنسان: «آدَمَ ... أَيْنَ أَنْتَ؟» (تك ٣: ٩).

«قَالُوا لَهُ: يَا سَيِّدُ، تَعَالَ وَانْظُرْ»:

"انظر" هنا تعني: "ارحم". لأن الله يرحم حينما ينظر، لهذا قيل: «انْظُرْ إِلَى ذُلِّي وَتَعَبِي، وَاغْفِرْ جَمِيعَ خَطَايَايَ» (مز ٢٥: ١٨). «بَكَى يَسُوعُ، فَقَالَ الْيَهُودُ: انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ يُحِبُّهُ!». وماذا يعني هذا التساؤل؟ ... «لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ» (مت ٩: ١٣). «وَقَالَ بَعْضٌ مِنْهُمْ: أَلَمْ يَقْدِرْ هذَا الَّذِي فَتَحَ عَيْنَيِ الأَعْمَى أَنْ يَجْعَلَ هذَا أَيْضًا لَا يَمُوتُ؟». ولكن هذا الذي لم يعمل شيئًا يمنع موت لعازر، كان له هدفٌ أعظم لإقامه لعازر من الموت.

«فَانْزَعَجَ يَسُوعُ أَيْضًا فِي نَفْسِهِ وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرِ»:

ليت انزعاجه يكون لك أنت أيضًا من أجل بلوغ غايته، إن كنتَ تريد أن تدخل الحياة ثانيةً! ليت كل مَنْ تكون أخلاقه في هذه الحالة الرهيبة، يُقال له: «وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرِ، وَكَانَ مَغَارَةً وَقَدْ وُضِعَ عَلَيْهِ حَجَرٌ». ميت تحت الحجر، أي "مُذنب تحت الناموس". لأنكم تعلمون أنَّ الناموس الذي أُعطِيَ لليهود كان مكتوبًا على حجر (خر ٣١: ١٨). وجميع المُذنبين هم تحت الناموس: «النَّامُوسَ لَمْ يُوضَعْ لِلْبَارِّ» (١تي ١: ٩). فماذا تعني، إذن، الكلمات التالية؟

«ارْفَعُوا الْحَجَرَ!»:

أكرزوا بالنعمة. لأن الرسول بولس يدعو نفسه خادم العهد الجديد، لأنه يقول: «لَا الْحَرْفِ بَلِ الرُّوحِ. لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي» (٢كو ٣: ٦). الحرف الذي يقتل مثل الحجر الذي يسحق. إنَّ الربَّ يقول: «ارْفَعُوا الْحَجَرَ!»؛ أي ارفعوا ثقل الناموس، واكرزوا بالنعمة. لأنه إن كان قد أُعطِيَ ناموسٌ يهب الحياة، لكان البرُّ حقًّا بالناموس، «لكِنَّ الْكِتَابَ أَغْلَقَ عَلَى الْكُلِّ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ، لِيُعْطَى الْمَوْعِدُ مِنْ إِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ» (غل ٣: ٢١، ٢٢)، لهذا "ارفعوا الحجر". قالت له مرثا أخت الميت: «يَا سَيِّدُ، قَدْ أَنْتَنَ لأَنَّ لَهُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ، قَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكِ: ...»:

«إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللهِ»:

ماذا يعني بقوله: «ترين مجد الله"؟ إنه يستطيع أن يُقيم إلى الحياة مَنْ قد أنتن وله أربعة أيام ميتًا، «إِذْ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ» (رو ٣: ٢٣). و«حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا» (رو ٥: ٢٠).

«فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيْتُ مَوْضُوعًا، وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ، وَقَالَ: أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا الْجَمْعِ الْواقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَلَمَّا قَالَ هذَا صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ». لقد انزعج وبكى وصرخ الرب يسوع بصوتٍ عظيم، بأيّة صعوبة يقوم مَنْ هو مضغوطٌ تحت ثقل حمل اعتياد الخطأ! ومع ذلك فها هو يقوم مستيقظًا بالنعمة الخفيَّة التي في صوت الرب؛ وبعد هذا الصوت العظيم يقوم الميت. وماذا تبع ذلك؟ صرخ الرب بصوتٍ عظيم:

«لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا!»:

«فَخَرَجَ الْمَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلَاهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ، وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيلٍ». هل نعجب لأنه خرج ويداه ورجلاه مربوطات، ولا نعجب لأنه قام من الموت بعد فترة أربعة أيام؟ إن قوَّة الرب هي التي أجرت كِلَا العملين وليست قوة الميت. لقد خرج الميت وهو لا يزال مربوطًا. خرج فعلًا خارج القبر وهو بعد في كفن دفنه. ماذا يعني هذا؟ حينما ترفض المسيح، فأنت تكون مأسورًا بين أذرع الموت؛ وإن حاولتَ أن تبلغ إلى الأبعاد السالفة، فأنت بالأَوْلى مدفونٌ؛ أمَّا إن اعترفتَ، فإنك تخرج. لأنه ما هو هذا الخروج إلَّا الإفصاح علنًا الذي تُقرُّ به عن حالتك، تاركًا خفايا الظلام القديمة! ولكن الله هو الذي يدفعك إلى الإقرار باعترافك، حينما يصرخ بصوتٍ عظيمٍ، أو بتعبيرٍ آخر، حينما يُناديك بالنعمة الغنيَّة. ومع ذلك، فحينما خرج الميت، كان لا يزال مربوطًا؛ وحينما اعترف، كان لا يزال مذنبًا. ولكي ما تُنزَع عنه خطاياه، قال الرب للخُدَّام «حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبْ»، ماذا تعني هذه الكلمات؟ «مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاءِ» (مت ١٦: ١٩).

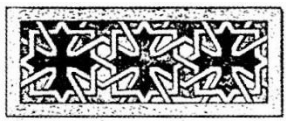

ادخل إلى العمق

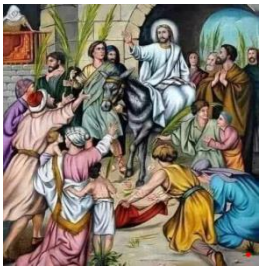

بكاء المسيح

«بَكَى يَسُوعُ» (يو ١١: ٣٥)

مدخل:

وردت عبارة: «بَكَى يَسُوعُ» مرتين فقط في البشائر الأربع، علمًا بأنها من أقصر الآيات الواردة فيها: أولهما، أمام قبر لعازر الذي أقامه الربُّ من الموت بعد دفنه بأربعة أيام؛ والثانية، عند دخوله إلى أورشليم في الأسبوع الأخير من حياته بالجسد على الأرض.

لكن ما الذي يجعل يسوع يبكي؟ ولماذا كلُّ هذا الحزن والاكتئاب الذي يدفع ربَّ الكون وخالق الكلِّ لكي يذرف الدموع (جسديًّا) على إنسانٍ، أو على أمرٍ يخصُّ خليقته التي سقطت، مهما كان هذا الأمر؟ حقًّا أنه أمرٌ عجيبٌ ومُحيِّر! ولكنه أيضًا أمرٌ جدير بالتأمُّل لإدراك المعاني السامية فيه، وأَخْذ العِبَر منه.

كان سرُّ الحبِّ المكنون للإنسان في قلب الآب المُحبِّ، قد عبَّر عنه الربُّ يسوع بوضوحٍ حينما قال: «هكَذَا **أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ** حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو ٣: ١٦)، وأيضًا ما كتبه إرميا النبي بالروح: «**وَمَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ،** مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَدَمْتُ لَكِ الرَّحْمَةَ» (إر ٣١: ٣)، كذلك ما ورد في سِفْر الأمثال: «**وَلَذَّاتِي مَعَ بَنِي آدَمَ**» (أم ٨: ٣١). فجميع هذه الإعلانات تشهد لنا أنَّ هذا الحب هو الذي دفع الآب لكي يبذل ابنه الوحيد (كلمته المُتجسِّد) من أجل خلاصنا، ولكي يردَّنا إلى رُتبتِنا الأولى، بتقدمته لذاته ذبيحة وكفَّارة عن خطايانا على الصليب، وذلك من أجل السرور الموضوع أمامه، أَلا وهو الحبُّ الإلهي المجَّاني المذخَّر لجنسنا البشريِّ منذ تأسيس العالم، والمحفوظ لنا على الدوام كقول الربِّ يسوع نفسه: «إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ **إِلَى الْمُنْتَهَى**» (يو ١٣: ١).

مِمَّا سبق، يمكننا أن نُدرِك كم كان قاسيًا على الربِّ يسوع، وسببًا في حزنه الشديد ودافعًا لبُكائه، عندما يرى الإنسان محبوبه الغالي مُكبَّلًا بقيود الشيطان، وأسيرًا تحت

سلطانه، ومُعرَّضًا للموت الأبديِّ، سواء كان هذا بسبب غواية إبليس أم بسبب تغافُله وعدم توبته وانغماسه في الخطيَّة والشرِّ لفساد طبيعته.

دموع يسوع من أجلنا:

حينما وقف يسوع أمام قبر لعازر، نظر إلى الجموع الوقفين أمامه، وأمام المتألِّمين والباكين العاجزين عن فعل أيِّ شيء أمام سلطان الموت، الذي هو أجرة الخطيَّة، وتراءى أمام السيِّد كلَّ شريط الحياة الإنسانية البائسة والمُنهزمة أمام هذا السلطان، وكيف استطاع إبليس أن يُدمِّر حياة الإنسان وسعادته، بإسقاطه من نعمة الحياة مع الله، ومن ميراث الملكوت والحياة الأبديَّة، ثمَّ إنَّ الربَّ نظر إلى ضعف الإنسان ومذَلَّته، ورُزوحِه تحت حُكْم الموت بعدما سقط، وكيف سادت الخطيَّة على جسده المائت؛ حينئذٍ انزعج يسوع بروحه واضطرب، **وبكى لأجل هذا الحال البائس** والمصير المُظلِم الذي آلت إليه خليقته المحبوبة. **وبكى أيضًا حزنًا وألمًا على الإنسان،** وعلى الخطيَّة التي سبَّبت له حُكْم الموت، وعلى عدم قدرة الإنسان على مواجهة هذا الحُكْم. وما أقساه من حُكْمٍ، ومدعاةٍ لحزنٍ وألمٍ واكتئابٍ وبكاءٍ ونحيب! لأجل ذلك اضطربت روح الربِّ وانتفضت لمعونة الإنسان الضعيف، لكي يرفع عنه هذا النِّير ويعتقه من حُكْم الموت، وينقض سلطان إبليس وأعماله، بأن يحمل في جسده على الخشبة كلَّ أثقال خطايانا، ويُميت الموت بموته بالجسد عنَّا، حتى يُحوِّل حزننا إلى فرح، من قِبَل موته وقيامته المجيدة من أجلنا، جاعلًا من إقامته لعبده لعازر عربونًا ومثالًا لِمَا هو مُزمع أن يُكمِّله لنا من بهجةٍ، بشركتنا في موته وقيامته بعد أيامٍ قليلة.

بُكاء الرب على أورشليم:

أمَّا **بكاء الربِّ على أورشليم،** كما ورد على لسان لوقا الرسول: «وَفِيمَا هُوَ يَقْتَرِبُ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ **وَبَكَى عَلَيْهَا**» (لو ١٩: ٤١)، فكان من أجل حزنه على مقدار العَمَى الروحي وقساوة القلب اللذين أصابا أبناء هذه المدينة، إذ لم يعرفوا زمان افتقادهم. وبدلًا من أن يهبُّوا مُسرعين لقبول مُخلِّصهم - ليس بسعف النخيل والهتافات المدوِّية فقط - بل بروح التوبة والفرح الروحي ببهجة الخلاص المُزمع أن يصير لهم، وبدلًا من أن يُملِّكونه على قلوبهم وحياتهم؛ فقد هتفوا له كمُخلِّصٍ أرضي من أعدائهم، مُتغافلين عن أَمْر خلاصهم الأبدي. فلمَّا خابت ظنونهم انقلبوا عليه بعد أيامٍ وهتفوا: «اصْلِبْهُ. اصْلِبْهُ». كلُّ هذا قد

عَلِمه يسوع بروحه، ممَّا سبَّب له حزنًا ومرارةً شديدين بسبب هذه الغفلة الروحيَّة؛ **فبكى على المدينة** وأولادها، ثمَّ بعد أيامٍ نراه يطلب من بنات أورشليم النائحات عليه - وهو حاملٌ صليبه - أن لا يبكينَ عليه بل على أنفسهنَّ وعلى أولادهنَّ، الذين لم يعرفوا زمان افتقادهم، ولا ما هو لخلاصهم.

ولا يغيب عن ذهننا أنَّ في كلِّ المرات التي بكي فيها يسوع، فقد بكى بصفته "**الابن المتجسِّد**" الذي أَخَذَ بشريتنا واتَّحد بها، واشترك معنا في اللحم والدم. فهو برغم كونه إلهًا كاملًا، فهو أيضًا قد عاش بيننا كإنسانٍ كاملٍ، واشترك معنا في ظروف حياتنا وآلامنا وأفراحنا، في عُرْس قانا الجليل كما في موت لعازر، حسب قول بولس الرسول: «فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ» (رو ١٢: ١٥)، وحياته كلها على الأرض قد أدركها وعاينها الجميع، وهو ما يؤكِّد حقيقة تجسُّده الطاهر ويشهد به تلاميذه بقولهم: «الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا» (١يو ١: ١).

هل يطلب الربُّ يسوع منَّا أن نفرح أم نحزن ونبكي؟

إنَّ بشارة الإنجيل لنا هي **بشارة الفرح**، مثلما يفيد المعنى المباشر للكلمة "إيفانجيليون"، وهذه الدعوة للفرح يعضدها كلمات الرب نفسه، الذي قال لتلاميذه: «بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَوَاتِ» (لو ١٠: ٢٠)، وأيضًا يدعونا أن نفرح حتى مقابل ظلمنا وتجاوز الناس واضطهادهم لنا، فيوصينا الربُّ يسوع قائلًا: «اِفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَوَاتِ» (مت ٥: ١٢). وبولس الرسول يؤكِّد لنا ضرورة الفرح حتى في خِضَمِّ الآلام والضيقات، حيث يكتب بالروح: «الَّذِي الآنَ أَفْرَحُ فِي آلاَمِي لأَجْلِكُمْ» (كو ١: ٢٤)، وأيضًا دعوته للفرح قائلًا: «اِفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، وَأَقُولُ أَيْضًا: افْرَحُوا» (في ٤: ٤). وتتعدَّد الدعوة إلى الفرح في مواضع كثيرة من الكتاب المقدَّس، مثل صلاة السيدة العذراء: «تَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي» (لو ١: ٤٧)، وقول بولس الرسول: «فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ» (رو ١٢: ١٢)، ويُرنِّم داود النبي قائلًا: «فَرِّحْ نَفْسَ عَبْدِكَ» (مز ٨٦: ٤)، ويخاطبنا الروح في سِفْر طوبيا بالقول: «لِيَكُنْ لَكَ فَرَحٌ دَائِمٌ» (طوبيا ٥: ١١). فإن كان الأمر هكذا، والربُّ قد جاء ليهبنا روح النعمة والفرح؛ فلماذا، إذن، نراه يُطوِّب الحزانى والباكين؟ أيُّ حزنٍ هو المطلوب أن نحزنه، وأيُّ بكاءٍ ينبغي أن نقتنيه ولا يتعارض مع بشارة الفرح التي

نلناها؟ وكيف يتوافق الجمع بين الفرح والحزن في حياتنا؟

قال الربُّ يسوع وهو يُعلِّم الجموع: «طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ» (مت ٥: ٤)، وقال أيضًا: «طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْبَاكُونَ» (لو ٦: ٢١). وقيل عن بطرس الرسول أنه بكى بكاءً مُرًّا: (انظر: مر ١٤: ٧٢؛ مت ٢٦: ٧٥؛ لو ٢٢: ٦٢)، وداود النبي يُرنِّم قائلًا: «أَبْكَيْتُ بِصَوْمٍ نَفْسِي» (مز ٦٩: ١٠). والحقيقة أنَّ هناك نوعين من الحزن علينا أن نُميِّز بينهما، إذ أنَّ هناك فرقًا كبيرًا بين الاثنين: فالنوع الأول - وهو الحزن المطلوب اقتناؤه - هو حزنٌ يتحوَّل إلى فرحٍ؛ أمَّا الحزن الثاني، فيقود إلى اليأس وانقطاع الرجاء ويؤول بالإنسان إلى الموت. ويوضِّح لنا القديس بولس الرسول سِمَات النوع الأول من الحزن المُطوَّب والمطلوب، فيقول بالروح: «لأَنَّ **الْحُزْنَ الَّذِي بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ** يُنْشِئُ تَوْبَةً لِخَلَاصٍ بِلَا نَدَامَةٍ، وَأَمَّا حُزْنُ الْعَالَمِ فَيُنْشِئُ مَوْتًا» (٢كو ٧: ١٠). فمثل هذا الحزن الذي بحسب مشيئة الله، يتمثَّل في الحزن على خطايانا وتقصيرنا، ويسكب الإنسان فيه نفسه وقلبه، ويذرف دموعه بتوبةٍ صادقة وندمٍ أمام الله، وإرادة قوية في العودة والرجوع إلى أحضانه وترك أدناس حياته السالفة؛ فيُشرق عليه نور الفرح ببشارة الغفران، ويمتلئ قلبه فرحًا وسلامًا. ومثل هذا الحزن المقدَّس عادةً ما يقترن بالصوم والبكاء والنوح (انظر: يوئيل ٢: ١٢). وهو ما ندعوه حزن التوبة المقدَّس والمُفرح، مثل بكاء بطرس الرسول ونَدَمه على إنكاره لسيِّده، وعودته ثانيةً وقبول الربِّ له، حسب وعده السابق له: «وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ» (لو ٢٢: ٣٢). والقديس بولس الرسول يحُضُّنا على مثل هذا الحزن والدموع، إذ يكتب بالروح إلى أهل كورنثوس: «الآنَ أَنَا أَفْرَحُ، لَا لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ، بَلْ لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ لِلتَّوْبَةِ» (٢كو ٧: ٩).

كذلك يوجد أيضًا صُوَرٌ أخرى للحزن المقدَّس الذي بحسب مشيئة الله، وهو الحزن على إخوتنا البعيدين، والذين نتألَّم من أجلهم ومن أجل عودتهم، ونُصلِّي بدموع ليرجعوا للربِّ، كقول إرميا النبي: «أَبْكِيَ نَهَارًا وَلَيْلًا قَتْلَى بِنْتِ شَعْبِي» (إر ٩: ١)، وكذلك بكاء بولس على المُقاومين له ولطريق الربِّ، حيث يقول عنهم: «وَالآنَ أَذْكُرُهُمْ أَيْضًا بَاكِيًا» (في ٣: ١٨). فالحزن والدموع والصلاة من أجل البعيدين والمُقاومين لنا حتى يعودوا ويتوبوا ويرجعوا لأحضان المسيح والكنيسة؛ هو **حزنٌ مقدَّسٌ، ودموع كريمة** أمام الله، مثل دموع أُم القديس أُغسطينوس على ولدها حتى صار قدِّيسًا عظيمًا، فهي أحزانٌ ودموعٌ

ستؤول أخيرًا إلى فرحٍ، كقول الربِّ نفسه: «أَنْتُمْ سَتَحْزَنُونَ، وَلكِنَّ حُزْنَكُمْ يَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ» (يو ١٦: ٢٠). فكلُّ حزنٍ بحسب مشيئة الله سوف يُنشئ فينا قوة توبة بلا ندامة، وإضرامًا لرجاءٍ حيٍّ، يحوِّل فينا هذا الحزن إلى فرح وسلام قلبي يفوق العقول.

أمَّا النوع الثاني من الحزن، وهو الحزن المرفوض والذي يتناقض مع بشارة الفرح المُقدَّمة لنا في الإنجيل؛ فهو **الحزن الذي من العالم**، ذاك الحزن الذي بلا رجاء، والمُتعلِّق بكلِّ أركان هذا الدهر واهتماماته الماديَّة والزمنية الفانية، مهما عظُمت، أو أي خسارة أرضية، لأنَّه بواسطته يضغط الشيطان على الإنسان، ويزرع في قلبه مشاعر الإحباط والألم والحزن، حتى يُفقِده رجاءه في الغفران والرحمة والشبع والفرح بالله، وبالتالي يصل به إلى هاوية اليأس والموت. وليس أدلُّ على ذلك من مثال يهوذا الإسخريوطي، الذي بعدما أدرك خطأه في تسليم سيِّده وبيعه إيَّاه بثلاثين من الفضة، لم يحزن للتوبة - بحسب مشيئة الله - وقام ليبكي نادمًا مترجِّيًا غفران الله ورحمته، كما فعل بطرس الرسول؛ بل ضيَّق عليه الشيطان بأفكار اليأس والقنوط وقَطْع الرجاء في رحمة إلهه، فمضى وشنق نفسه وفَقَدَ حياته الأبدية.

كذلك الشاب الغني، عندما وضعه الربُّ أمام اختبار محبته هو أم محبة المال، وصعب عليه الأمر، **فمضى حزينًا** وخسر أثمن فرصة ليصير تلميذًا للمسيح، بعدما استسلم لحزنه على التكلفة التي سيتحمَّلها لقاء تنازُله عن أمواله. لذلك حَزِنَ من أجل الخسارة الماديَّة، ولم يحزن للتوبة ورِبْح الحياة الأبدية.

أمَّا أحزان الإنسان الحياتيَّة واليوميَّة، فالربُّ كفيلٌ بأن يمسح لنا الدموع التي تجلبها علينا، وأن يُطيِّب قلوبنا وأنفسنا، ويُحوِّلها لنا إلى مصدر عزاءٍ وفرحٍ، إن نحن ألقيناها تحت أقدام الرب، كما صنع الربُّ مع ابن أرملة نايين حين قال لها: "لا تبكي" (لو ٧: ١٣)، وكما صنع السيِّد مع أُخْتَي لعازر، ومع الرجل والد الصبي المجنون والأخرس والأَصم، ومع كلِّ مَن يترجَّى اسمه القدوس، عالمين أن نفس هذه الآلام تُجرى على إخوتنا الذين في العالم (انظر: ١بط ٥: ٩)، بل مُلقين بأحزاننا عليه، لأنه هو القائل: «فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ» (إش ٦٣: ٦). فلا نحزن حزن العالم كالباقين الذين لا رجاء لهم (انظر: ١تس ٤: ١٣)، لأنه هو القادر أن يحمل أحزاننا، ويمسح دموعنا، ويهبنا الفرح المقدَّس والدائم الذي دعانا إليه.

بمناسبة
أسبوع الآلام

الصليب
واللص اليمين
(٢)

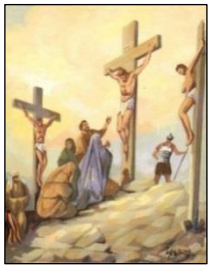

للقديس يوحنا ذهبي الفم[١]

❖ يقول **القديس يوحنا ذهبي الفم:**

في هذا اليوم فإن ربنا يسوع المسيح موجودٌ على الصليب، ونحن نحتفل بذلك لكي تروا أن الصليب هو عيدٌ روحاني. لقد كان الصليب سابقًا عقابًا للمحكوم عليه، أمَّا الآن فقد صار موضوع توقير. كان سابقًا يعني حُكْم بالموت، أمَّا الآن فهو سبب خلاص! لقد صار الصليب ينبوعًا لبركات لا تُحصَى لنا: فقد حرَّرنا من الضلال، وأنار للجالسين في الظلمة، وقد أصلحنا نحن الذين كنا في عداوةٍ مع الله. فعندما كنَّا أعداء جعلنا أحبَّاء، وعندما كنا بعيدين جعلنا قريبين. الصليب هو مُحطِّم العداوة وحارس السلام وكنز كل البركات. بفضل الصليب لا نهيم بعد على وجوهنا تائهين في الصحاري، لأننا اكتشفنا **الطريق الحقيقي**. فنحن لا نعيش بعد خارج الملكوت لأننا وجدنا **الباب**، لا نخاف بعد من سهام الشيطان النارية لأننا رأينا رأس الينبوع. بسبب الصليب لم نعُد بعد أرامل لأننا حصلنا على العريس، لا نخاف بعد من الذئب لأننا حصلنا على الراعي الصالح لأنه قال: «أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ» (يو ١٠: ١١). بسبب الصليب لا نخاف بعد من الطاغية لأننا بجانب الملك. لأجل هذه الأسباب نحن نحتفل ونُحيي ذِكْرى الصليب.

هكذا أيضًا وَضَعَ ق. بولس احتفالًا بسبب الصليب بقوله: «لِنُعَيِّدْ، لَيْسَ بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ ... بَلْ بِفَطِيرِ الإِخْلاَصِ وَالْحَقِّ» (١كو ٥: ٨)، إذ ذَكَرَ السبب لذلك بقوله: «لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا» (١كو ٥: ٧). إذن، فسبب هذا الاحتفال هو أنه على الصليب ذُبح المسيح، وحيثما توجد الذبيحة يكون إبطالٌ للخطايا، في هذا المكان توجد مُصالحة مع الرب، في هذا المكان يوجد تعييد وفرح. فأخبرني: أين ذُبح المسيح لأجلنا؟ ذُبِحَ

---

(1) Patrologia Graeca, Vol. 49. The Orthodox Word, 282, 2012.
ألقى ق. ذهبي الفم هذه العظة يوم الجمعة العظيمة في إحدى سنوات القرن الرابع غير المعروفة.

على آلة إعدام عالية. لقد كان مذبح هذه الذبيحة جديدًا، حيث إنَّ الذبيحة كانت أيضًا جديدة وغير مسبوقة. لأن الواحد نفسه كان هو الضحية، وهو الكاهن: ضحية حسب الجسد، وكاهن حسب الروح. فالكائن الواحد قدَّم ذاته وقُدِّم هو حسب الجسد. فاستمعوا، إذن، كيف يشرح ق. بولس هذين الأمرين، فهو يقول: «... كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ مَأْخُوذٍ مِنَ النَّاسِ يُقَامُ لأَجْلِ النَّاسِ ... فَمِنْ ثَمَّ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لِهذَا أَيْضًا شَيْءٌ يُقَدِّمُهُ» (عب ٥: ١؛ ٨: ٣)، إذن، فقد ضحَّى المسيح بنفسه. وفي مكانٍ آخر يقول الرسول: «هكَذَا الْمَسِيحُ أَيْضًا، بَعْدَمَا قُدِّمَ مَرَّةً لِكَيْ يَحْمِلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ، سَيَظْهَرُ ثَانِيَةً بِلَا خَطِيَّةٍ لِلْخَلاَصِ لِلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَهُ» (عب ٩: ٢٨). أَتَرَوْنَ كيف أنه كان ضحيةً وكاهنًا، وكيف أن الصليب كان هو المذبح؟

وربما يقول أحدٌ: لماذا لم تُقدَّم الضحية في الهيكل، بل قُدِّمت خارج أسوار المدينة؟ ذلك لتحقيق النبوَّة: «وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ» (إش ٥٣: ١٢). ولماذا ذُبح على آلة إعدام عالية وليس تحت سقف؟ ذلك لكي يُطهِّر الجوَّ تحت السماء. والأرض أيضًا تطهَّرت منذ أن قطر الدم عليها من جنبه. وهكذا فإن ذلك لم يتمَّ تحت سقف ولا في هيكل اليهود حتى لا تكون الذبيحة مُخصَّصةً لليهود وحدهم. لهذا السبب قُدِّمت خارج أسوار المدينة حتى تُدركوا أن الذبيحة إنما هي كونيَّة، وأن التقدمة هي لأجل الأرض كلها، ولكي تُدركوا أنها تطهيرٌ شاملٌ وليس فرديًّا كما هو مع اليهود. فإن الله كان قد أَمَرَ اليهود أن يأتوا من أنحاء الأرض ليُقدِّموا ذبائح ويصلُّوا في مكانٍ واحد، حيث إنَّ الأرض كلها كانت نجسة من دخان ورائحة وجميع نجاسات ذبائح الأمم التي كانت تُقدَّم عليها. أمَّا لأجلنا نحن، فحيث إنَّ المسيح طهَّر الكون كله بمجيئه، فإنَّ كلَّ مكانٍ قد صار مكان صلاة. لذلك فإن بولس الرسول نصح بجرأة بالصلاة في كل مكان بدون خوف قائلًا: «أُرِيدُ أَنْ يُصَلِّيَ الرِّجَالُ **فِي كُلِّ مَكَانٍ**، رَافِعِينَ أَيَادِيَ طَاهِرَةً» (١تي ٢: ٨). أَتَرَوْنَ كيف أن الكون قد تطهَّر؟ لأنه في كل مكان يمكننا أن نرفع أيادي طاهرة، حيث إنَّ الأرض كلها قد صارت مقدَّسة وأكثر قداسة من قُدْس الهيكل الداخلي. فقد كانت تُقدَّم هناك حيوانات غير عاقلة، أما هنا فيُقدَّم واحدٌ روحاني. وبقدر عظمة الضحية بقدر عِظَم التقديس. بسبب ذلك يُعتبر الصليب عيدًا.

الصليب فَتَحَ لنا الفردوس بعد أن كان مُغلقًا:

أتريدون أن تعلموا شيئًا آخر تمَّ إنجازه بواسطة الصليب؟ إن الفردوس، بعد أن أُغلق أكثر من خمسة آلاف سنة، فتحه الصليب لنا اليوم، لأن الله، في هذا اليوم وفي هذه

الساعة، أدخل اللص مُحقِّقًا بذلك هدفين: الأول، هو أنه فتح الفردوس؛ والثاني، هو أنه أدخل إليه اللص. اليوم أعاد إلينا وطننا القديم، اليوم أعادنا إلى مدينة أسلافنا ومنح ملجًأ لطبيعتنا البشرية المشتركة. فقد قال للّصِّ: «الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ» (لو٢٣: ٤٣). ماذا تقول؟ أنت مصلوبٌ ومسمَّرٌ وتَعِد بالفردوس؟ فيقول: نعم، لكي تُدركوا عظمتي وأنا على الصليب. حتى لا تلتفتوا إلى طبيعة الصليب حيث إنه شيءٌ محزن، ولكن لكي تُدركوا قوة المصلوب. فقد أنجز على الصليب هذه المعجزة التي تُظهِر قوته بصفةٍ خاصة. فقوَّته لم تكن في إقامة الموتى، أو انتهار البحر والرياح، أو في إخراج الأرواح الشريرة؛ بل في كونه صُلِبَ وسُمِّر ولُعن وبُصق عليه وشُتم وسُخِر به من كونه كان قادرًا أن يُغيِّر فكر اللص الشرير حتى تُرى قوَّته في كِلَا المجالين. لقد هزَّ الخليقة كلها وشقَّ الصخور، واجتذب نفس اللص وكافأها، تلك التي كانت عديمة الشعور أكثر من الصخور؛ إذ قرَّر أن تكون معه في الفردوس. حقًّا إن الكاروبيم كان حارسًا للفردوس، ولكن المسيح هو سيِّد الكاروبيم. هناك كان لهيب السيف الناري مُتقلِّبًا (تك ٣: ٢٤)، ولكن المسيح له سلطان على النار وعلى الجحيم وعلى الحياة وعلى الموت.

بالطبع لا يسمح أيُّ ملكٍ قط للصِّ أو لأيٍّ من الخاضعين له أن يجلس معه ويأتي معه إلى المدينة، ولكن المسيح فعل ذلك وهو داخلٌ إلى وطنه المقدس إذ جاء باللص معه، ليس بأن جعل اللص يطأ الفردوس بقدميه أو يُسبِّب له عارًا، بل بالحري بأن يُكرِّمه. لأن الفردوس قد تكرَّم بامتلاكه للسيِّد الذي يجعل حتى اللص مستحقًّا لنعيم الفردوس. وعندما جاء بالعشَّارين والعاهرات إلى ملكوت السموات لم يُسبِّب ذلك له عارًا، بل بالحري جعله مُكرَّمًا، مُظهِرًا أن ربَّ الملكوت يجعل كلًّا من العاهرات والعشَّارين مقبولين حتى يوجَدوا مستحقِّين لكرامة ومكافأة العالم الآخر. وذلك تمامًا كما نتعجَّب من الطبيب عندما نراه يُحرِّر الناس ذوي الأمراض المستعصية من المرض ويُعيد إليهم صحتهم، فمن الملائم أن نتعجَّب من المسيح عندما يشفي جروحًا مستعصية، عندما يُجدِّد العشَّارين والعاهرات إلى تلك الصحة حتى يجعلهم مستحقِّين للسماء.

ولكن ربما يقول أحدٌ: كيف برهن اللص على هذا الاستحقاق حتى إنه بعد الصليب وصل إلى السماء؟ هل تحب أن أُخبرك باختصارٍ عن هذه الشجاعة؟ ففي حين أن بطرس أنكره أسفل الصليب (مت ٢٦: ٦٩ – ٧٥)، اعترف به اللص أعلاه. أقول ذلك ليس لكي

أدين بطرس، حاشا! بل لأنني أريد أن أُظهر عظمة روح اللص. إنَّ التلميذ لم يحتمل تهديد فتاة وضيعة، ولكن اللص مع إنه رأى صياح جميع الناس حوله وسخطهم ورشقهم الشتائم والسخرية؛ لم يُبالِ بهم، لم يأخذ بعين الاعتبار حالة المصلوب المتدنِّية ظاهريًا، بل عَبَرَ على كل ذلك بعين الإيمان ووضع العوائق الدنيئة جانبًا وتعرَّف على سيِّد السماء وتوسَّل إليه قائلًا: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» (لو ٢٣: ٤٢).

دعونا ألَّا نعبُر بخفَّةٍ على هذا اللص، وألَّا نخجل من اتِّخاذه كمُعلِّم لنا، ذاك الذي لم يخجل سيِّدنا من أن يجعله أول مَنْ يدخل الفردوس. ودعونا ألَّا نخجل من اتِّخاذه كمُعلِّم، ذاك الذي قبل الخليقة كلها، أُظهِرَ بكونه مستحقًّا للمواطنة في السماء، بل دعونا نفحص عن كثبٍ تصرُّفاته لكي ندرك قوة الصليب. المسيح لم يَقُل له كما قال لبطرس وأخيه أندراوس: «هَلُمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمَا صَيَّادَيِ النَّاسِ» (مت ٤: ١٩). ولم يَقُل له كما قال للاثني عشر: «تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الِاثْنَيْ عَشَرَ» (مت ١٩: ٢٨)؛ بل بالحري لم يجعله مستحقًّا لأن يُظهِرَ له معجزة واحدة، فهو لم يَرَ موتى يقومون أو إخراج أرواح شريرة، لم يُعاين طاعة البحر للمسيح، كما أنَّ المسيح لم يَقُل له شيئًا عن الملكوت أو عن الجحيم؛ ومع ذلك فقد اعترف به اللص أمام الجميع في حين أنَّ اللص الآخر شتمه، لأن لصَّيْن صُلبا مع المسيح لكي تتحقَّق النبوَّة: «وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ» (إش ٥٣: ١٢).

لقد أراد اليهود أن يظلموا سمعة المسيح، وقد تعاملوا مع الحقائق بازدراء من كل ناحية، ومع ذلك فإنَّ الحقَّ قد صار من كل ناحية مُشعًّا، ولم تجعله العوائق إلَّا مُشرقًا ببريقٍ أكثر. اللصَّان كان كلاهما مصلوبًا سواء بسبب لصوصيتهما أو بسبب آثامهما، ولكن نصيبهما لم يكن واحدًا: فأحدهما ورث الملكوت، بينما أُرسل الآخر إلى جهنم. وهذا يُشبه ما حدث بالأمس مع التلميذ والتلاميذ، يهوذا والأحد عشر. فقد سأل التلاميذ المُعلِّم عن مكان إعداد الفصح، بينما كان يهوذا يُعدُّ لخيانته وقال (لرؤساء الكهنة): «مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُعْطُونِي وَأَنَا أُسَلِّمُهُ إِلَيْكُمْ» (مت ٢٦: ١٥)؟ فبينما كان الأحد عشر يعدُّون أنفسهم للخدمة وللأسرار المقدَّسة، كان يهوذا يُصرُّ على الخيانة. هكذا أيضًا فإن أحد اللصَّين جدَّف وشتم المسيح، بينما توسَّل إليه الآخر. أحدهما جدَّف، بينما هتف له الآخر وأسكت المُجدِّف بقوله: «أَوَلَا أَنْتَ تَخَافُ اللهَ؟ ... أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا» (لو ٢٣: ٤٠، ٤١).

أَتَرَوْنَ جسارة اللص على الصليب؟ أَتَرَوْنَ فضيلته وهو تحت العقاب ومهابته تحت العذاب؟ مَنْ ذا الذي لا يتعجَّب، إذ بينما كان مُسمَّرًا احتفظ بذهنه وبمنطقه حاضرين؟! وليس ذلك فحسب، بل إنه تجاهل اهتماماته الشخصية وفكَّر فيما يخصُّ الآخرين؛ إذ صار مُعلِّمًا وهو على الصليب، فانتهر اللص الآخر بقوله: «أَوَلَا أَنْتَ تَخَافَ اللهَ»؟ ولسان حاله يقول: "لا تلتفت إلى حُكْم القضاء هنا، فهناك قاضي آخر غير مرئي، يوجد هناك كرسي حُكْم غير مُتحيِّز. فلا تهتم بكون السيِّد قد حُكِمَ عليه هنا، لأن السماويَّات ليست مثل الأمور السُّفلية هنا. هنا في المحكمة الأرضية، أحيانًا يُحكَم على الأبرار ويفلت الأَثَمَة من العقاب، الأثيم يُطلَق حرًّا والبريء يُعذَّب. والقضاة حتى لو علموا أين يكون الحق وأين الباطل، فإنَّ حُكمهم يفسد بالرشوة. أمَّا في الأعالي، فلا يوجد شيءٌ من ذلك، لأن الله قاضي عادل". وكأنَّ اللصَّ اليمين كان يقول للِّصِّ الآخر: "وجِّه بصيرتك إلى هناك وأنت لن تقاسي من الحُكْم عليك، ولن يحكم عليك قضاة أرضيون فاسِدون، بل بالحري سوف تُرحِّب بالحُكْم الذي يصدر هناك".

أَتَرَوْنَ فضيلة اللص؟ أَتَرَوْنَ فهمه وتعليمه؟ لقد قفز فجأةً من الصليب إلى السماء!

بشفاعة العذراء مريم التي ذاقت شركة آلام الرب على الصليب، آمين.

****

دير القديس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القديس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر. فرع الميرغني

****

من
التراث الكنسي

معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة[١]

(٣)

(١) هل يمكن معرفة الله من خلال العقل؟

دعنا نفحص الآن موضوع كيف يمكن معرفة الله؟ سوف ننظر أوَّلاً إلى السُّؤال: هل يمكن أنْ يُعرف الله مِن خلال العقل، أي مِن خلال عقلنا فقط؟

الجواب الأرثوذكسي الأساسي والأصيل هو أنَّ الله لا يمكن معرفته فقط مِن خلال العقل أو المنطق، حيث لا يمكن للمرء أنْ يُبَرهِن على وجود الله مِن خلال المنطق، كما أنَّه لا يمكن لأحدٍ أنْ يدحض وجود الله مِن خلال العقل. نقرأ في الكلاسيكية الروحيَّة: "سحابة عدم المعرفة *The Cloud of the Unknowing*" أنَّه قد يُمكن أنْ يُحَبَّ الله جيِّدًا، ولكن لا يمكن أبدًا استيعابه مِن خلال الفكر. بالحب يمكن التأمُّل فيه واقتناؤه، ولكن بالفكر لا يمكن أبدًا. نسمع أنَّه يُقال إنَّ "العِلم يُبَرْهِن"، ولكن العِلم في حالاتٍ عديدة لا يُبَرْهِن، ولكنَّه يضع احتمالات فقط. يمكن للعقل أنْ يضع احتمالات رائعة لوجود الله، لكن لا يمكن أنْ يضعه في أنبوبة اختبار و"البرهنة" عليه. ""اللاهوت ليس أمرًا مُتعلِّقًا بالعقل، لكن كما يتكلَّم القدِّيس بولس أنَّه يتعلَّق بـِ "فِكر المسيح"" (الأب بول إيفدوكيموف Paul Evdokimov).

يمكن أنْ يقدِّم العقل احتمالات قويَّة، كما يمكنه أنْ يُعطي دلائل وإشارات أنَّ الإيمان بالله هو أكثر منطقيَّة مِن عدم الإيمان به، لكن لا يمكن إثباته والبرهان عليه. لماذا؟ لأنَّ الله لا يمكن أنْ يُوَضَّح بتعبيراتٍ لا لَبْس فيها في قوالب مِن المنطق. إنَّه ليس نظريَّة يمكن إثباتها أو مادة تتم دراستها. الله روح، لذلك لا يمكن وضعه تحت المجهر وتحليله، لكنَّ العقل يمكن

---

(١) عن كتاب بعنوان:

Anthony M. *Coniaris، Knowing God Life's Highest Purpose & Joy.*

أنْ يُهيِّئ الطَّريق لمعرفة الله. على سبيل المثال، يُشير النظام والتَّصميم الموجودان في الكون إلى وجود مصمِّم ذكي. لا يمكن خروج النِّظام مِن الفوضى، فالتَّصميم يفترض وجود مصمِّم ذكي، وهذا ما يُعْرَف بمذهب التكوين من وضع نظامي argument from Design. إذا وجدتَ نفسك عالقًا في جزيرة على البحر الجنوبي، وقد بدا أنَّها غير مسكونة، ولكن فجأة وجدتَ ساعة يد في الشُّجيرات، فسيكون مِن المعقول أنْ تفترض وجود كائنات عاقلة في مكانٍ ما حولها، وسيكون مِن غير المعقول أنْ تفترض أنَّ السَّاعة ظهرت في الوجود مِن تلقاء نفسها، وأنَّه لم يكن هناك صانع ساعات في أيِّ مكان. وعلى سبيل المثال أيضًا، اعتقد أرسطو Aristotle أنَّ الحركة الدَّقيقة والمنظَّمة للأرض والقمر، والتكوينات اللانهائيَّة في الفضاء، تُشير إلى وجود محرِّك رئيسي ذكي.

الشَّيء المهم في عمليَّة الخلق هي أنَّها تكشف وتُعلِن عن خالق، أنَّها تحمل توقيع الخالق. لا يخلق الله بالإنتاج الكمِّي، فلا توجد شجرة واحدة مطابقة لأخرى، كما لا يوجد وجه واحد يتطابق تمامًا مع الآخر، حتى إنَّ شعرة واحدة مِن رأسك فريدة مِن نوعها لا يوجد هناك مثلها تمامًا، ولن يكون هناك واحدة أخرى تُطابقها.

وللقدِّيس غريغوريوس النِّيصي رَأْيًا لاهوتيًّا theologized، وهو أنَّه مِن غير المعقول أنْ يُبَرْهِن المرء شيئًا عن الله الذي سيظلُّ دائمًا أبعد مِن مفاهيمنا ومعتقداتنا. وبدلاً مِن البراهين التي كانت سائدة في اللاهوت المدرسي الغربي Western scholastic theology، أصرَّ أفرام Ephrem والآباء الشرقيُّون الآخَرون على الصَّمت، مُحاجِّين أنَّ هذا الجدل الفلسفي هو: "دائمًا في حال الحمْل والألم والمخاض، ولكنَّه لا يلد أبدًا".

(٢) التَّصميم ذو المعنى INTELLIGENT DESIGN:

التَّصميم المُبدع لله (في الخليقة) يسمح حتَّى للوثني أنْ يرى يد الله عندما ينظر إلى الطَّبيعة (راجع: رو ١:٢٠). إنَّه يشهد على أنَّ الطَّبيعة نفسها، وحتى في حالتها السَّاقطة، لا تزال أيقونة لمجد الله. الكون نفسه يُسمَّى في الأرثوذكسيَّة: **"سرَّ الله".**

يوجد قول أرثوذكسي روسي يقول: **"الأرض هي الأيقونة المُعلَّقة حول عنق الله"**. العالَم هو سرُّ حضور الله، ظهور إلهي a theophany. كلُّ الأشياء المخلوقة هي **"ثياب"** الله.

يرفض أتباع نظريَّة داروين الحديثة Neo - Darwinists براهين وحُجج التَّصميم ذي المعنى، ويدحضونها بشدَّة، لأنَّ لديهم عقيدة ضدَّها، فهم يستبعدون التَّصميم ليس بناءً على أدلَّة علميَّة لكن مِن وجهة نظر فلسفيَّة تتجاوز مجال اختصاصهم، لكنَّ العلم يتعامل مع الطبيعة physics وليس مع ما فوق الطَّبيعة metaphysics، وهم غير مستعدِّين على الإطلاق لقبول أيَّة أدلة تُشير إلى التَّصميم، فلديهم عقل ضيِّق وهذه خطيئة رئيسيَّة لعالِم حقيقي. لحُسن الحظ، فالعديد مِن العلماء اليوم هم أكثر انفتاحًا على ضوء البراهين مِن جميع المصادر، حتى لو كانت هذه الأدلَّة تُشير إلى التَّصميم. العلماء مثل مايكل بيهى Michael Behe مؤلِّف كتاب: "صندوق داروين الأسود *Darwins Black Box*"، يوضِّح أنَّ هناك أدلَّة هائلة على التَّصميم ذي المعنى. أصبح مِن الواضح بشكلٍ متزايد أنَّ الشَّخص الذي ينظر إلى الطَّبيعة يمكنه رؤية دليل مباشر على الخَلْق، فليس مِن العجب ما كتبه القدِّيس أوغسطينوس أنَّ الله أعطانا إنجيلَيْن: أحدهما مكتوبٌ والآخر نقرأه ونراه في العالم الطَّبيعي المُحيط بنا. يمكننا في الواقع التعرُّف على المهندس المعماري جزئيًا من الأشياء التي يُصمِّمها، ولذلك يرتِّل المرنِّم ويقول: **«اَلسَّمَوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ»** (مز ١٩ :١).

ويلخِّص الأب جورج مانزريديس Georgios I. Mantzaridis ما تمَّ قراءته للتوِّ فيقول:

"يمكن لكلِّ إنسانٍ عادل التعرُّف على الخالق مِن خلال الخليقة. إنَّ إنكار وجود الله ليس هو مجرَّد خطأ في التَّفكير من جانب الإنسان، لكنَّه دليلٌ على الوهم والتَّشويش. الأب بالاماس Palamas**، بالاتِّفاق مع الكتاب المقدَّس، يَعْتبِر المُلحد أحمقًا**[(٢)]**".**

(٣) المظهر المُخادع للعقلانيَّة:

هناك أُناس يُدْعَوْن بالعقلانيِّين الذين يصرُّون على أنَّ جميع حقائق إيماننا يجب أنْ تُثبت بمقياس العقل المُطلق قبل أنْ يمكن قبولها، ويصرُّ هؤلاء العقلانيُّون على أنَّه يجب رفض العبارات اللاهوتيَّة التي تتعارض مع العقل، بينما لا يوافق اللاهوت الأرثوذكسي على ذلك. هو لا يرفض العقل، ولكنَّه يرفض بالأحرى ما يعتبره غطرسة العقل *hubris of reason* التي تسود في الثَّقافة الغربيَّة: "العقلانيَّة". الله ليس ضدَّ

---

(2) *The Deification of Man*. SVS. Crestwood، N.Y. 1984.

العقل، ولكنَّه يسمو ويفوق العقل. لا يمكن لله أنْ يُعرف مِن خلال العقل فقط. علينا أنْ نتذكَّر برج بابل. لكي يعرف النَّاس الله، استخدموا ذكاءهم ومعرفتهم التقنيَّة لمحاولة الوصول إليه بمفردهم ببناء برج للوصول إلى السَّماء. وما هي النَّتيجة؟ اِنهار البرج، وكان هناك ارتباك بسبب تعدُّد اللُّغات مما أدَّى إلى الفوضى. وبالمِثل، فإنَّ العقل ينهار أمام سموِّ الله الكُلِّي، وفي نهاية المطاف يُخْضِع العقلُ نفسَه أمام الله الذي لا يمكن إدراكه بشكلٍ كلِّي. الكلمات المُجرَّدة لا يمكن أنْ تصف مَنْ لا يوصف. هذا يتطلَّب العبادة والتأمُّل والتَّواضع والطَّاعة والتَّوبة والإيمان والمحبَّة والقلب النَّقي للتعرُّف على الله، والذي ما كان لنا أنْ نعرفه أبدًا إنْ لم يكن قد أعلن لنا ذاته أولاً وأساسًا في المسيح يسوع.

(٤) جينات البشر: لغة الله:

بعض العلماء اليوم يَصِفون الجينات البشريَّة بأنَّها "لغة الله". إنَّها كتابٌ تعليمي معقَّد بشكلٍ ملحوظ، مكتوبٌ بمليارات الحروف الكيميائيَّة في تكوين رمزٍ عبقري خيالي، فهي تتنبَّأ باستعداد وقابليَّة حدوث الأمراض لدى الأفراد، ومع ذلك يُنكر علماء الأحياء الذين يتكلَّمون عن التطوُّر أنَّ كتابًا تعليميًّا رائعًا مثل هذا تمَّت كتابته بواسطة قوَّة ذكيَّة، وبدلاً مِن ذلك يزعمون أنَّ هذا الدَّليل العبقري ليس نتاجًا لذكاء الله، ولكن للتَّراكم الطَّائش للطَّفرات العشوائيَّة التي يُنظِّمها الانتخاب الطبيعي natural selection (مصطلح مقصود به الصُّدْفة). ومع ذلك فإنَّ هؤلاء العلماء الداروينيِّين Darwinian لا يُفسِّرون أبدًا الأدلَّة التي تُقنعهم بالضَّبط، وما تملكه الآليَّة الداروينيَّة مِن قدرة إبداعيَّة، ليس فقط لكتابة كتاب تعليمات، ولكن أيضًا لتطوير الماكينات الجزيئية molecular machines التي يمكنها فهم هذه التَّعليمات والتصرُّف بناء عليها. إلاَّ أنَّ عدَّة علماء غير داروينيين يرون في الجينات البشريَّة ليس فقط لغة الله الغامضة، ولكن أيضًا يد الله.

(٥) العقل بالإضافة للسِّر:

تحافظ الأرثوذكسيَّة على مفهوم السِّر في فهمها لله. لفهم الأرثوذكسيَّة يجب على المرء أنْ يقبل قيمة السِّر، فغالبًا ما يكون صدمة للمسيحيِّين في الغرب أنْ يعتبر الأرثوذكس السِّرَّ أكثر أهميَّة في معرفة الله مِن العقل.

تؤمن الأرثوذكسيَّة أنَّه مِن أجل معرفة الله، فالعقل والسِّر ليسا في خصومة، ولكن يدعِّم كلٌّ منهما الآخر. يجب أنْ يعمل كلٌّ مِن الفكر العقلاني والواقع السَّرائري معًا إذا ما أردنا أنْ نعرف الله الواحد الحقيقي كما أُعلن بالمسيح. المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة لا ترفض العقل، لكنَّها ترفض تأليه العقل الذي يُعتبر الطابع المميِّز للكثير مِن علوم الفلسفة واللاهوت الغربيَّيْن.

(٦) حكمتان:

يشرح المطران هيروثيئوس Hierotheos فيقول:

"... مِن الواضح أنَّ الرُّهبان يكتسبون الحكمة الإلهيَّة طوال حياتهم. إنَّ معرفة الله ليست ثمرة أعمال عقلانيَّة، لكنَّها إعلان مِن الله نفسه. يجب ألَّا يتوقَّع الرُّهبان أيَّ شيءٍ مِن التَّعليم الخارجي، لاسيما مِن الفلسفة. إذا ابتغى أيُّ شخصٍ قبل أن يُفكِّر في الرَّهبنة أن يتعلَّم المزيد مِن هذه العلوم لنفسه، فليس ذلك محظورًا، ولكن بالطَّبع لا يجب أن تُؤخذ كأمورٍ مُطْلقة أو مسلَّم بها أو كحقائق لاهوتيَّة[٣]".

(٧) استبدال المعرفة الاختباريَّة لله بتركيبات فكريَّة:

العالِم اللَّاهوتي الأرثوذكسي المشهور كريستوس يانَّارس Christos Yannaras يشرح الفرق العظيم بين الشَّرق والغرب في كيف يُعرف الله، فيكتب ويقول:

"... هدف الكنيسة النهائي ليس هو الارتقاء بالفرد أخلاقيًّا أو ترسيخ عقيدة مُعيَّنة، إنَّ الكنيسة تسعى إلى تألُّه البشريَّة (تشترك في الحياة الإلهيَّة) عن طريق الشَّركة في حياة الله غير المخلوق، والممنوح كهبة مِن النِّعمة.

أمَّا الغرب، فقد استَبْدَل هذا الهدف الاختباري بأُطروحات فكريَّة، وافتراضات ميتافيزيقيَّة، وحجج منطقيَّة، بالإضافة إلى فكر البدليَّة القانونيَّة (البدليَّة العقابيَّة) عن الله، وتحوَّلت الخبرة المسيحيَّة القائمة على الاتِّحاد بالله إلى تديُّن أيديولوجي تصوُّري، ونظريَّات فكريَّة مجرَّدة[٤]".

---

(3) *Gregory Palamas as a Hagiorite*. Metropolitan Hierotheos of Nafpaktos. Birth of the Theotokos Monastery. Levadia، Greece. 1997.

(4) *Christos Yannaras: Orthodoxy and the West*. Translated by Peter Chamberas and Norman Russel. HCO Press. Broo;line، MA. 2006.

الحياة اللِّيتورجيَّة لكنيسة الإسكندرية[١]
(٣)

القرن الرَّابع الميلادي

جاء القرن الرَّابع الميلادي، وإذا ببذرة الحنطة التي أُلقيت في القرنين الأوَّل والثَّاني للميلاد قد أزهرت، وأينعت، ونمت شجرة مورقة في القرن الثَّالث الميلادي، استظلَّ بظلها الكثيرون. وابتداءً من الربع الثاني من القرن الرابع الميلادي (بداية بدعة أريوس، وظهور القديس أثناسيوس)، صارت الشجرة عظيمة مُثمرة، اغتذت كل الكنيسة الجامعة من ثمرها. وفيها بلغت كنيسة الإسكندريَّة كمال نُضجها، وطبقت شُهرتُها الآفاق، صائرة مُلهِمة ومُعلِّمة المسكونة كلِّها.

القوانين التي تحكم تطوُّر النصوص اللِّيتورجيَّة المسيحيِّة:

١. تطوُّر النَّص اللِّيتورجي ينتقل من التركيب الأكثر بساطة إلى التركيب الأكثر تعقيدًا.

٢. النُّصوص اللِّيتورجيَّة ذات الأصول اليهوديَّة هي الأكثر قِدَمًا من نظيرتها ذات الأصول الهلِّينيَّة. فالنص اللِّيتورجي المسيحي ذو الأصل اليهودي، والموروث من المجمع اليهودي، يبدأ بالتَّحيَّة من الكاهن للشعب، ثمَّ تأتي في النصوص اللِّيتورجية بصِيَغ الشُّكر والتَّسبيح. أمَّا تلك ذات الأصل الهلِّيني، فتبدأ أيضًا بالتحيَّة، ويعقبها النِّداء: "القلوب إلى فوق"، ثم تأتي صِيَغ الصلوات في شكل طلبة أو توسُّل. وهكذا نشأت اللِّيتورجيِّة المسيحيَّة، من مثل هذا التَّوافق بين هذين النَّوعين من الصِّيَغ اللِّيتورجيَّة.

٣. النص اللِّيتورجي الأقدم، هو الأقل تأثُّرًا بنصوص الكتاب المقدس. والأكثر حداثة، هو الأكثر اقتداءً بها، حيث يُشحن غالبًا بعناصر تحوي كثيرًا من التعاليم الإيمانية التي تشرح الإيمان شرحًا مُستفيضًا.

٤. النصوص اللِّيتورجية المُتأخِّرة تتطور في اتِّخاذها لشكل خطابي حماسي، ثم تُصبح شيئًا فشيئًا أسيرة فصاحة لُغويَّة، تلك التي تغيب تمامًا في صلوات الديداخي والتقليد الرسولي لهيبوليتس.

---

(١) نُتابع في هذا العدد تقديم موجز عن التاريخ اللِّيتورجي لكنيسة الإسكندريَّة، وهو عن كتاب للراهب أثناسيوس المقاري، صَدَرَ بنفس الاسم، سنة ٢٠١٨م.

ظهور الرهبنة المصرية أُم الرهبانيات في العالم:

تأسَّست أوَّل جماعة رهبانية سنة ٣٠٥م، على يد القديس أنطونيوس (٢٥١- ٣٥٦م.)، والذي يُعتبر أب رهبان العالم. وفي سنة ٣١٨م، أنشأ القديس باخوميوس (٢٩٢- ٣٤٨م)، أول دير في طبانسين في صعيد مصر. وفي سنة٣٤٠م، انطلق القديس مقار الكبير (٣٤٠- ٣٩٠م) لبريَّة شهيت بقيادة الشَّاروبيم، بعد توحُّده لمدة ١٠ سنوات. وقام بزيارتين للقديس أنطونيوس، حيث تسلَّم منه أسرار الحياة الرهبانية. وانتظمت الحياة الرهبانيَّة في شهيت، وبلغت ذروتها سنة ٣٥٦م. ولم تأتِ نهاية القرن الرابع، إلَّا وكان هناك أكثر من خمسة آلاف راهب في نتريا والقلالي بصحراء مصر.

ومع أوائل الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي، وَفَدَ إلى بريَّة شهيت كثيرٌ من الأجانب للتعرُّف على الحياة الرهبانية، والتي انتشرت بسرعةٍ مُذهلة في كل قارات العالم، عبورًا بفلسطين بآسيا، وفرنسا بأوروبا.

وانتشرت كثيرٌ من الكُتُب والآثار الأدبيَّة الرهبانيَّة، مثل: "أقوال الآباء *Apophtegmata Patrum*"، و "التاريخ اَللُّوزياكي" الذي كتبه بلاديوس كشاهد عيان سنة ٤١٩م، و "تاريخ الحياة الرهبانية في مصر- *Historia Monachorum in Aegypto*" وهو لمؤلِّفٍ مجهول كتبه في مصر سنة ٤١٩م. بالإضافة إلى كتابَي يوحنا كاسيان: "المعاهد *Institute*"، "المحاورات *Conferences*"، واللَّذين كتبهما حوالي سنة ٤٢٠م، أي بعد مغادرته الإسقيط بعشرين سنة.

هذه الأعمال الأدبيَّة ، إلى جوار عظات القديسَيْن أنطونيوس الكبير ومقاريوس الكبير، كانت ولا زالت هي المنبع الرئيسي للحياة الروحيَّة في الشرق، وحتى اليوم. وامتدَّ تأثيرها على التقليد الليتورجي إلى كنائس الإيبارشيات والكاتدرائيات في بلدان العالم المسيحي آنئذ.

الخدمة الكاتدرائيَّة والخدمة الدَّيريَّة:

تكوَّنت الخدمة الكاتدرائيَّة في أساسها من اجتماعَين يُعقدان في الكنيسة يوميًّا: واحدٌ في الصباح، والآخر في المساء، مع سهر أسبوعي ليلة الأحد، وليالي الأعياد. ويحوي هذا السهر اللَّيلي قراءات مع ترتيل المزامير، إلى جانب صلوات أخرى. وتُعدُّ مصر أوَّل شاهد في الكنيسة الجامعة على هذه العبادة.

أمَّا الخدمة الديريَّة، فتختلف بين أديرة الصَّعيد والأديرة البحريَّة:

+ ففي أديرة الصعيد، وبحسب النظام الباخومي، كان هناك أربع خدمات يوميَّة، وهي: ١- صلاة السَّحر، وتُعرف أيضًا بصلاة الفجر. ٢- صلاة الغروب، وتُسمَّى ايضًا بصلاة إيقاد السراج. ٣- صلاة الليل، وكانت تُقام في نصف الليل. ٤- صلاة الساعة الثالثة. بالإضافة إلى صلاة تُقال في الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر)، قبل الوجبة التي يتناولها الرهبان كل يوم، قبل انعزالهم لقلاليهم.

+ وبخصوص الأديرة البحريَّة، ولا سيَّما في إسقيط مصر، فلم تكن هناك في النهار خدمة جماعيَّة تجمع كل الرهبان معًا، بل خدمتان ليليَّتان يوميًّا: واحدة في الغروب، وواحدة في نصف الّليل.

وفي كلتا الخدمتين كان يُرتَّل اثنا عشر مزمورًا، مع صلاة "هلليلويا"، ويُتبع بالذوكصا "المجد للآب..."، مع فصلَين من الكتاب المقدَّس. أمَّا التَّحليل الختامي الذي كان يقوله الرئيس، فكان هو آخر عناصر هذه الخدمة الرَّهبانيَّة الوقورة.

الفوارق الهامة بين الخدمة الكاتدرائيَّة والخدمة الدَّيريَّة:

+ الخدمة الكاتدرائيَّة هي خدمة شعبيَّة، تُميِّزها مراسيم طقسيَّة، مثل إيقاد المصابيح، ورفع بخور، ومواكب احتفاليَّة، وترديد أنتيفونات وألحان جماعيَّة، ورُتَب إكليروس متنوِّعة، لكلٍّ منها عملها المُتميِّز في الكنيسة، وهي أمور تُعدُّ غريبة تمامًا في الخدمة الدَّيريَّة، ذلك لأن هذه الأخيرة هي خدمة بسيطة قنوعة، يُغلِّفها صمتٌ مقدَّس في كثيرٍ من أجزائها، مع سجودٍ متواتر إلى الأرض، مصحوبًا بصلواتٍ سريَّة قلبيَّة، وجلوس مع إصغاء طويل لفصول كتابيَّة تُناسب الحياة الدَّيريَّة الهادئة.

+ الخدمة الكاتدرائيَّة، هي خدمة تسبيح وتشفُّع، أمَّا الخدمة الدَّيريَّة فهي بالأكثر خدمة إصغاء إلى فصول كتابيَّة تُقرأ فيها. ولكن باستثناء كنيسة مصر، التي أعطت للتسبيح في الخدمة الدَّيريَّة مكانةً كُبرى، بجانب إعطائها أهمِّية رئيسيَّة للقراءات الكتابيِّة في كِلَا خدمتيها، الدَّيريَّة والكاتدرائيَّة، دونًا عن كلِّ كنائس العالم.

+ في عدد المزامير: الخدمة الكاتدرائيَّة فيها ترتيل موجز للمزامير، حيث تحوي مزامير مُنتخبة، تُختار لتُناسب الخدمة التي وُضِعَت لأجلها. أمَّا ترتيل المزامير في الخدمات الدَّيريَّة، فهو ترتيلٌ متصل للمزامير، تُرتَّل بترتيبها الذي وردت به في كتاب المزامير، دون أيِّ مُحاولة

لجعل هذه المزامير مُناسِبة في اختيارها للسَّاعة التي تُتلى فيها.

+ في طريقة أداء الترتيل بالمزامير: في الخدمة الكاتدرائيَّة، فإن تلاوة المزامير هي مُشاركة شعبيَّة، وذلك بإدخال مردَّات وأنتيفونات أو قرار يُردِّده الشَّعب تكرارًا، إمَّا بآية مُحدَّدة بذاتها من المزمور لا تتغيَّر، أو بالمرد "هلليلويا". أمَّا في الخدمة الدَّيريَّة، فالرهبان يُردِّدون المزامير آية آية في هدوء، أو يستمعون إلى تلاوة المزامير من مُرتِّلٍ واحد، بينما الجميع يصغون.

وعلى مدى قرونٍ طويلة في مصر، حدث تداخُل بين هاتين الخدمتين: اللّيتورجيَّة والدَّيريَّة، وإن ظلَّت سِمَات كلِّ خدمةٍ مُتمايزة عن الأخرى، دون مزج أو خلط بينهما. فكانتا خدمتين مُركَّبتين بعضهما فوق بعض، دون ذوبان لعناصر الواحدة في الأخرى. ولعلَّ السبب في ذلك يرجع لابتعاد الأديرة عن مراكز المُدن.

في التراث المعماري والفني للكنيسة:

+ تؤكِّد الدراسات المعماريَّة أن المعمار القبطي له أصالته الخاصة به، بالرغم من التَّشابُه الذي يبدو بين الكنائس القبطيَّة وتلك التي لها الطَّابع البازيليكي. ولعلَّ الذي دعا البعض إلى هذا الاعتقاد، هو بسبب امتياز الكنائس القبطيَّة بكثرة القباب. ولكن الحقيقة هي أنَّ الأقباط هم الذين اخترعوا القباب منذ العصر الفرعوني، ثم أدخلوها في كنائسهم في العصر المسيحي، ولكنه صار يُعرف فيما بعد باسم: "الطراز البيزنطي". وعن مصر، أخذ الإغريق وكل الغرب هذا الطراز، ومِن ثمَّ انتشر في كل كنائس الدُّنيا.

+ جُرن المعموديَّة في كنائس مصر يكون عادةً مُربَّع الشَّكل أو مستطيل، ويمكن النُّزول إليه بسلالم من الناحيتين، وأحيانًا بسلالم من الأربع جهات لعماد البالغين. ومع إنَّ المعموديَّة في سائر كنائس العالم، كانت خارج مبنى الكنيسة؛ إلَّا أن كنيسة مصر لم تتبع هذا التقليد، بل كان يوضع جُرن المعموديَّة في الفناء الداخلي المُقابل للكنيسة، أي الرُّواق.

+ أقدم كؤوس إفخارستيَّا كانت تُصنع عادةً من الزُّجاج، أو من مواد معدنيَّة كالرُّصاص والنُّحاس الجيِّد والقصدير. ولكن بحلول القرن الرَّابع صارت تُصنع من المعادن الثمينة كالذَّهب والفضَّة.

+ انتقلت الأيقونات في القرن الرَّابع من مرحلة الرَّمز إلى مرحلة الواقعيَّة. كما أنها أبرزت

المراحل التاريخيَّة لحياة بعض القدِّيسين. كما أقامت الكنائس صورًا لشهدائها تكريمًا وتذكارًا لهم.

+ توسَّعت الكنيسة في استخدام الألحان، حيث لعبت الألحان الكنسيَّة دورًا في مقاومة الهرطقات التي ظهرت آنئذ. وفي الحقيقة، فإن الكنيسة القبطية هي أعرق كنيسة عرفت الألحان. فإن كانت مصر الفرعونيَّة صاحبة أقدم حضارة عرفت الموسيقى؛ ففي مصر المسيحيَّة نشأت أوَّل ألحان عرفها العالم المسيحي.

في الرُّتب الكنسية:

في زمن البابا أثناسيوس الرسولي، عرفنا أنَّ ليتورجيَّة كنيسة الإسكندريَّة كان بها خمس رُتب كنسيَّة، وهي: الأسقف والقسوس والشمامسة والإيبوذياكونيين والأوغنسطسيين. أمَّا في "قوانين البابا أثناسيوس الثاني" (٤٨٩- ٤٩٦م)، فأضاف عليها رُتبَتَي الإبصالتيس (المُرتِّل)، والبوَّاب.

في المعموديَّة المقدَّسة والميرون المقدَّس:

+ منذ القرن الثاني وحتى الرابع، كانت المعموديَّة تُمنح في ليلتَي عيد الفصح وعيد العنصرة، ولكن ظلَّ عيد الفصح هو الأكثر شيوعًا، إذ كان يسبقه فترة الصَّوم المقدَّس الكبير، وهي فترة مناسبة لإعداد الموعوظين المُرشَّحين للمعموديَّة. ولكن أُضيفت لهاتين المناسبتين عيد الإبيفانيا لمنح سرِّ المعموديَّة. ثمَّ اجتاز هذا التَّقليد إلى شمال إفريقيا، فإسبانيا، وبلاد الغال.

+ وبسبب ازدياد أعداد المقبولين بالكنيسة، اشتدَّت الحاجة إلى العرَّابين (الأشابين) لأجل تربيتهم تربية مسيحيَّة كاملة. ويُحدِّد التقليد المصري أن يكون الإشبين أحد الوالدين أو أحد أفراد العائلة، ولكن من نفس الجنس، ويكون مشهودًا له بالحكمة والتعقُّل، عارفًا بقواعد الإيمان.

في رفع البخور والقدَّاس الإلهي:

+ كان الاسم الذي يُعرف به القدَّاس في القرن الرابع في كنيسة الإسكندريَّة هو: "السيناكسيس"، وذلك من الكلمة اليونانيَّة "يجمع". وهذه الكلمة نجدها في القطمارسات القديمة في بداية قراءات كلِّ قُدَّاس. فالقُدَّاس أساسًا هو سرُّ "جَمْع المُتفرِّقين إلى واحد".

+ بعد أن أصبح تناول المؤمنين من الجسد المقدَّس باليد ممنوعًا منذ القرن الرَّابع، استُخدمت الملعقة (المستير) لتناول القُربان. وكان التَّناول يتمُّ من الكأس مباشرة. ولكن صار بعدها "المستير" قاصرًا على الكهنة في تناول القُربان المقدَّس، وشائعًا في تناول الدم الكريم للإكليروس والشعب.

+ كان هناك نداءٌ صريح في الطَّقس القبطي القديم بخروج الموعوظين من الكنيسة. وإن كان قد سقط هذا النداء من اللّيتورجيَّة القبطيَّة، بينما ظلَّ موجودًا في بعض الطُّقوس الأُخرى.

+ لم تكن عقيدة حلول الرُّوح القدس على الخبز والخمر، لنقلهما إلى جسد ودم المسيح قد دخلت، كحلول للتحوُّل، بمعناها في طقس الإفخارستيَّا في كنيسة مصر في القُدَّاس الإلهي القبطي في زمن البابا أثناسيوس الرسولي؛ ولكنها دخلت في زمن البابا بطرس الثاني (٣٧٣-٣٧٨م)، وذلك تدعيمًا للاهوت الرُّوح القُدُس، الذي بدأت المُنازعات اللاهوتيَّة بشأنه في ذلك الوقت.

في سرُّ الزيجة:

في بداية القرن الرابع، أصبح الاحتفال بسرِّ الزيجة ذا صفةٍ سرائريَّة، حيث حاولت الكنيسة إضفاء صبغة ليتورجيَّة على بعض الطُّقوس العائليَّة التي سادت في ذلك الوقت، مثل التوقيع على وثيقة الزواج، والمهر، والخاتم، وتشابُك الأيدي... وصار وَضْع الأكاليل على رأسِ العروسين هو قمة مراسيم الزيجة. وكان حقُّ تسليم العروسة للعريس، وضمُّ أيديهما، محفوظًا للأُسقُف أو الكاهن.

في الصلوات والتسابيح الكنسيَّة:

+ استقرَّ منذ القرن الرابع ثلاث طرائق للتسبيح: الأولى، وهي أقدمها، حيث يشترك الشَّعب كلُّه في التسبيح. والثانية، هي طريقة الأنتيفونا، وهي تُفيد "ترتيل متبادَل بين خورسين". والثالثة، وهي أداء منفرد لشخصٍ واحد، يُجاوبه: إمَّا خورس يردُّ عليه، أو الشَّعب كلُّه.

+ دخل سِفْر المزامير إلى كافة أسرار الكنيسة وطقوس صلواتها ومناسباتها. وصار يتصدَّر مقدِّمة قراءة فصل الإنجيل المقدَّس. كذلك انتشرت مُمارسة "صلاة الأجبية" أو "صلوات السواعي". وتُعتبر الأجبية القبطيَّة هي أغنى كتاب صلوات سواعي في الكنائس الشرقيَّة، إذ يحتوي على نصف سِفْر المزامير تقريبًا. وتنفرد الكنيسة القبطيَّة بترديد المزمور الخمسين في بداية صلواتها.

(يتبع)

بحث تاريخي

أديرة وكنائس قبطية في مصر باسم "القديس أبو فام"

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي

أستاذ الآثار والفنون القبطية

ورئيس قسم الإرشاد السياحي بكلية الآداب – جامعة عين شمس

القديس أبو فام / بيفام Phoibammon /Abufam / Abu Bifam[1]:

وُلِدَ الشهيد أبو فام (**الشكل رقم ١**) في أواخر النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي في مدينة أوسيم (ويقصَد باسم **Phoibos**، "صاحب الطلعة البهيَّة") بالجيزة[2] من أبوين مسيحيَّيْن تقيَّيْن هما: أنسطاسيوس (أنستاسيوس) **وسوسنَّة**، وكان والده أنسطاسيوس رجُلًا غنيًّا وتقيًّا مُحبًّا للفقراء والمساكين. كما كانت **أُمُّه سوسنَّة** امرأة مُتعبِّدة. وقد ربياه والداه تربية دينية، فشَبَّ على خوف الله والشفقة على المساكين والمُحتاجين، مواظبًا على الصلاة والصوم. فما إن اشتدَّ عود الصبي حتى أرسله والده إلى كاهنٍ قديس يُدعى أرسانيوس ليتتلمذ على يديه، ولكي يُعلِّمه الكُتُب المقدَّسة وتعاليم الكنيسة. وكان أبو فام حينذاك في التاسعة من عمره، وبالرغم من الغِنَى الشديد الذي كان يُحيط بالصبى إلَّا أنه عاش حياة نُسكية زاهدة. ويُعتَقَد أن القديس "أبو فام الجندي" كان خال الشهيد يوحنا الهرقلي الأمير.

(الشكل رقم ١) أيقونة حديثة للقديس "أبو فام الجندي" بطما http://abahoor.blogspot.com/ 2018/04/blog-post_47.html

وعرض عليه أبواه الزواج فلم يَقْبل، ولمَّا أثار الإمبراطور الروماني دقلديانوس الاضطهاد على أقباط مصر، تَقدَّم القديس أبو فام إلى والي المنطقة واعترف أمامه بإيمانه بالسيد المسيح فعذَّبه كثيرًا. وتصادف وجود أريانوس والي أنصنا بأوسيم، فأخذ القديس معه إلى قاو في صعيد مصر وهناك ربطه في ذيل حصان وطاف به المدينة كلها. وأخيرًا، وبعد مراحل

(1) "Bifam is a Variant of Phoibammon" *CoptEnc.* 3, (ed) A.S. ATIYA, New York, 1991, 696a-969b.

(٢) *الشهيد العظيم أبو فام الجندي الأوسيمي؛* نبيل سليم وجرجس المنياوي، *مار يوحنا الهرقلي والثلاثة بيفام القديسين*، ١٩٦٦.

طويلة من التعذيب والاضطهاد، أَمَرَ الوالي بقطع رأس القديس "أبو فام" فنال إكليل الشهادة. وأَخَذَ بعض المؤمنين جسده الطاهر وكفَّنوه ودفنوه في غرب مدينة طما وبُنِيَت له كنيسة باسمه. وفيما بعد، ظهرت من جسده آياتٌ وعجائبُ كثيرة.

وقد أشار المؤرِّخ المملوكى المقريزي (القرن ٩ هـ/ القرن ١٥م) إلى أنَّ القديس أبا فام كان جنديًّا في عصر الإمبراطور الروماني دقلديانوس[٣] (٢٨٤-٣٠٥م). وفي رواية أُخرى، لُقِّب القديس "أبو فام" بالجندي مع إنه لم يكن من الضباط أو الجنود، ذلك لأنه عاش كجندي صالح ليسوع المسيح مُلتزمًا بوصاياه. كما يُعرَف هذا القديس حاليًّا باسم: "القديس أبو فام الجندي الأوسيمي الشهيد". كما يوجد قديس آخر يُعرَف باسم: "أبو فام الطحاوي الشهيد"[٤] والذى نشأ في مدينة طحا، بالإضافة إلى شهيد ثالث يحمل نفس الاسم. ويَرَى البعض أنَّ القديس "أبو فام الجندي" هو نفسه القديس أبو فام الطحاوي.

ومن أهم ألقاب القديس "أبو فام الجندي الأوسيمي":

- **بو خمسمائة،** حيث كان هذا القديس يملك خمسمائة عبد، ونالوا جميعهم إكليل الشهادة بعد اعتناقهم المسيحية.
- **صاحب الثلاثة أكاليل،** حيث أخبره رئيس الملائكة ميخائيل بأنه سينال ثلاثة أكاليل: إكليل البتولية - إكليل الجهاد - إكليل الشهادة.
- **شفيع إيبارشية طما،** لأنه مدفون في كنيسته بطما إلى اليوم.

ويظهر القديس أبو فام الجندي في زخارف الأيقونات القبطية بهيئة القديس الفارس الذي يمتطي جواده ليطعن ثعبانًا أو تنينًا كما هو الحال لكثير من أشهر القدِّيسين الأقباط، مثل: مار جرجس، ومار بقطر بن رومانوس، ومار مينا العجائبي، والقديس كلاوديوس، والقديس تواضروس المُحارب، وغيرهم.

دير القديس فيبامون "أبو فام" غرب الأقصر:

شُيِّد هذا الدير في القرن الرابع الميلادي على بُعْد ثماني كيلومترات غرب وادي الملكات بمدينة الأقصر. ويتكوَّن هذا الدير من طابقين، وعُثِر بداخله على كثيرٍ من الكتابات باللغة

---

(٣) المقريزي، كتاب: *"المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"*، طبعة بولاق، القاهرة، ١٨٥٣، مجـ٢، ص ٥٠٦-٥٠٧؛ وطبعة ١٨٤٥، ص ٤٢-٤٣، ١٠٥.

(4) https://www.chjoy.com/vb/showthread.php?t=13739.

القبطية. وتمَّ اكتشاف هذا الدير بواسطة جمعية الآثار القبطية[٥] Société d'archéologie copte. ويخلط البعض بين هذا الدير ودير إبيفانيوس Epiphanius في غرب الأقصر **(الشكل رقم ٢)**، والذي يبعد حوالي أربعمائة متر عن معبد الدير البحري. وقد اكتشفه أعضاء البعثة الأثرية التي وصلت إلى مصر من متحف المتروبوليتان بنيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية في القرن العشرين[٦]. كما يخلط البعض أيضًا بين كنائس وأديرة القديس "أبو فام" القبطي ودير القديس "أبو فانا"[٧] في ملوي غرب قصر هور بالمنيا لتشابه الاسمين.

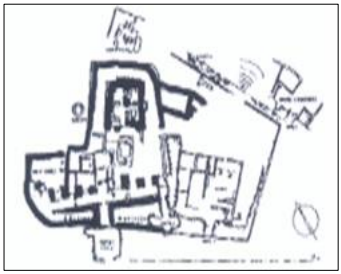

(الشكل رقم ٢) دير القديس إبيفانيوس غرب الأقصر، نقلًا عن الأنبا صموئيل، "*دليل الكنائس والأديرة في مصر*"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٥.

كنيسة أبو فام بطما بسوهاج:

شُيِّدت كنيسة القديس "أبو فام الجندي" القديمة في طما بسوهاج بالقرب من كنيسة أُخرى أقدم للقديسة دميانة[٨]. ونُبِنيَت الكنيستان في الموقع القديم للكنيسة الأثرية المعروفة باسم: "القديس أبو فام" شفيع المكان. وبالكنيستين أحجبة خشبية مُطعَّمة. والجدران الداخلية لكلِّ كنيسة منهما تُزيِّنها بعض الأيقونات البديعة. كما احتوت هاتان الكنيستان على بعض المخطوطات الهامة.

وتُغطِّي الكنيستين قباب تمَّت إضافتها في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي أو في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. وفي قائمة سومر كلارك[٩] S. Clarke، وردت الإشارة إلى الكنيسة التي كُرِّست لأبي فام في طما وأخرى دُشِّنت للقديس أوليمبوس المعروف في اللغة العربية باسم: أبو ليمبة Abu Limbah.

---

(٥) الأنبا صموئيل، "*دليل الكنائس والأديرة في مصر*"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٥.

(٦) الأنبا صموئيل، "*دليل الكنائس والأديرة في مصر*"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٥.

(٧) شيرين صادق الجندى، "التنمية السياحية والأديرة القبطية: دير أبو فانا نموذجًا"، المجلة *المصرية للدراسات السياحية*، مجـ ١٦،ع ٢، جـ ١"، القاهرة (٢٠١٧)، ص ١-٢٥.

(٨) الأنبا صموئيل، "*دليل الكنائس والأديرة في مصر*"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٧٧؛ القمص تادرس يعقوب ملطي، "قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض شخصيات كنسية".

(9) W.E. CRUM, *the Monastery of Epiphanius at Thebes*, vol.1, New York, 1926, pp. 101-110; R.-G. COQUIN, "Dayr Abu Bifam (Tima)", *CoptEnc*.3, (ed.) A.S. ATIYA, New York, 1991, 697a.

وأشار المؤرِّخ المملوكي المقريزي كذلك إلى كنيسة "القديس أبو فام"[١٠]. وقد ذَكَرَ هذا المؤرِّخ القديس "أبو فام" باسم: "أبوغام Abugham"، فلعله أخطأ في قراءة أو في سماع اسم القديس. واعتقد المقريزي أيضًا بأن ديرًا أُقيم للقديس "أبو فام الجندي" خارج طما في سوهاج على الضفة اليُسرى لنهر النيل على بُعْد ما يقرب من ٢٠ كم/١٥ ميلًا من أبو تيج، غير أنه حاليًّا لا يوجد دير بهذا الاسم. ويُعتَقد أن الدير الذي أشار إليه المقريزي في قرية سلمون هو بالقرب من طما، حيث أكَّد المقريزي كذلك أن دير بيفام موجود خارج طما وأن أهلها نصارى، لكن مع اتساع العمران صار داخل المدينة من الجهة القبلية، وهو يقع وسط المقابر.

كنيسة الشهيد "أبو فام الجندي" في دمنو في محافظة سوهاج:

أُشير إلى الكنيسة الأثرية للشهيد "أبو فام الجندي الشهيد" في الدفنار في ٢٧ أبيب كالآتي: "تكريس بيعة الشهيد "أبو فام" بدمنو". كما وردت الإشارة إليها في القرن الثاني عشر الميلادي في مؤلَّف تاريخ أبو المكارم كما يلي: "أيضًا بناحية دمنو بيعة من البَر الغربي على اسم القديس الجليل أبي فام"[١١]. وفي القرن الثالث عشر الميلادي، ذكر ياقوت الحموي[١٢] وجود كنيسة عظيمة في دِمْنُو يجتمع بها "النصارى" للزيارة، وقد تكون هي تلك الكنيسة أو غيرها من الكنائس أو الأديرة في المنطقة. واندثرت هذه الكنيسة القديمة والبعض يجهل مكانها الأصلي.

وفى أوائل السبعينيات، أُنشئت جمعية الأقباط التي تحوَّلت في سنة ٢٠٠٠م إلى الكنيسة الحديثة التي كُرِّست في نفس المكان لذات القديس على أربعة مذابح: ثلاثة منها موجودة بالكنيسة الرئيسية كالآتي:

المذبح الرئيسى: وكُرِّس للقديس "أبو فام".

المذبح الشمالي: وهو مذبح العذراء مريم.

المذبح الجنوبي: ويُعرَف باسم مذبح الملائكة.

بالإضافة إلى وجود مذبح في مبنى الخدمات مكوَّن من خمسة أدوار.

---

(١٠) المقريزي، كتاب: *"المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"*، طبعة بولاق، القاهرة، ١٨٥٣، مجـ ٢، ص ٥٠٧؛ وطبعة ١٨٤٥، ص ٤٣، ١٠٥.

(١١) *تاريخ أبو المكارم عن الكنائس والأديرة في القرن "١٢" بالوجه القبلى*، جـ.٢، إعداد: الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها، القاهرة، ص١١٣.

(١٢) ياقوت الحموي، كتاب: *"معجم البلدان"*، مجـ ٢.

كنيسة الشهيد "أبو فام الطحاوي" بأبنوب في محافظة أسيوط:

ذَكَرَ أبو صالح الأرمني دير القديس "أبو فام الجندي" في أسيوط[١٣]، وأشار إلى أنه كان يُعرَف باسم: دير التينادة Dayr al-Tinadah. كما اعتقد أبو صالح الأرمني أنَّ جسد القديس أبا فام قد وُضِعَ في هذا الدير. وكتب أيضًا ياقوت الحموي عن هذا الدير في أعوام ١٨٦٦-١٨٧٣م في المجلَّد الثاني من مؤلَّفه[١٤].

ووردت الإشارة إلى ديرين للقديس "أبو فام الجندي" كذلك بواسطة المقريزي: الأول هو دير كرفونا Dair Karfunah في الحاجر Hagir في المنطقة الواقعة بين الأرض الزراعية وجبل أسيوط أو ربما بالقرب من دير أدرونكة أو درونكة[١٥]. والدير الثاني هو دير نفس القديس في طما المُشار إليه بأعلاه. ويرى كلٌّ من رينيه جورج كوكان وموريس مارتان أنه لا يوجد في هذه المنطقة دير منسوب للقديس "أبو فام القبطي"، بل هو دير لشهيد وقديس ذُكِرَ اسمه في بعض المخطوطات القبطية والعربية، وكان جنديًّا في معسكر *castrum* Aprahat بالقرب من قرية الشيخ عبادة Antinopolis بالمنيا. وقد استُشهِدَ هذا القديس في أسيوط ودُفِن بالقرب من هذا المكان. ويتمُّ الاحتفال بعيده في اليوم الأول من شهر بؤونة[١٦]. ويختلف هذا الرأي تمامًا عمَّا ورد في رواية المقريزي.

وتُنسَب هذه الكنيسة المعروفة أيضًا باسم: "كنيسة مار فام" في الغالب إلى القديس "أبو فام الطحاوي الشهيد" الذي كان من مُقدَّمي قصر إبرجت. وقد تقابل هذا القديس مع الشهيد بقطر بن رومانوس الوزير بعد وصوله إلى أرض مصر. وعندما طلب الوالي منه السجود للأوثان، رفض، فتم تعذيبه ثم استشهاه في حضور أخته سارة.

دير أبو فام في سمالوط:

أشار أبو صالح الأرمني فقط دون غيره من المؤرِّخين إلى دير سمالوط بالقرب من

---

(13) Abu Salih the Armenian, *the Churches and Monasteries and Some Neighbouring Countries*, attributed to Abu Salih the Armenian, Edited and Translated by T.A. Evetts, …with Added Notes by A.J. Butler, Oxford, 1895, fols. 60, 90, pp. 56, 114 (Text), 179, 251 (Trans.).

(١٤) ياقوت الحموى، كتاب: *"معجم البلدان"*، مجـ٢، ١٩٠٦، ص ٦٤٩.

(١٥) المقريزي، كتاب: *"المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"*، طبعة بولاق، القاهرة، ١٨٥٣، مجـ ٢، ص ٥٠٦-٥٠٧، وطبعة ١٨٤٥، ص ٤٢-٤٣، ١٠٥؛

Yaqut, *Geographisches Wörterbuch (Mucjam al-Buldan)*, 6 vols., ed. F.Wüstenfeld, Leipzig, 1866-1873; W.E. Crum, *the Monastery of Epiphanius at Thebes*, vol.1, New York, 1926, 109-110; R.G. Coquin & S.J. Maurice Martin, "Dayr Abu Bifam", CoptEnc.3, (ed.) A.S. Atiya, New York, 1991, 696a-696b.

(16) R.G. Coquin & S.J. Maurice Martin, "Dayr Abu Bifam", *CoptEnc.3*, (ed.) A.S. Atiya, New York, 1991, 696a-696b.

الأشمونين، حيث توجد كنيسة باسم: "الشهيد أبو فام"، وكتب هذا المؤرِّخ أيضًا اسم: Abu Bagham، غير أن بيفام هو اسم فيبامون Phoibammon. وفي السنكسار، توجد إشارة إلى اثنين من القدِّيسين الأقباط باسم فيبامون. يُحتَفَل بعيد الأول منهما وهو شهيد طما، يوم ٢٧ طوبه. وفي الأول من شهر بؤونة، يتم الاحتفال بعيد الشهيد الثاني، والذي استُشهِدَ ودُفِن بالقرب من أسيوط. كما تحتفل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أيضًا بذكرى تكريس كنيسة "القديس أبو فام" في طما بسوهاج في يوم ٢٧ أبيب وهو نفس يوم ذِكرى ميلاد القديس، إلى جانب تكريس كنيسة "الشهيد أبو فام الجندي" في أبنوب فى الأول من شهر كيهك.

وأكَّد أبو صالح الأرمني أن هذا الدير مُحاطٌ بسور، وبه طاحونة وفرن ومعصرة وحصن كبير ومرتفع، بالإضافة إلى حديقة بها أشجار النخيل وأنواع أخرى من الأشجار والنباتات. وقد وَهَبَ بعض الخُلفاء عشرين فدانًا من الأرض السوداء لهذا الدير[١٧]. ولا يوجد الآن في سمالوط أيُّ دير باسم: "القديس أبو فام". فربما كانت رواية أبو صالح الأرمني خاطئة، وربما كانت صحيحة. غير أنَّ الدير قد تهدَّم واختفت كلُّ معالمه في عصرٍ ما من عصور الاضطهاد الطويلة التي مرت بها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

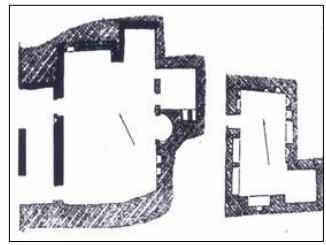

(الشكل رقم ٣) منظر عام لدير "القديس أبو فام الجندي" في ملوي،
نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٥٦.

دير أبو فام الجندي في البرشا:

يوجد هذا الدير في مغارات مقابر الشيخ سعيد جنوب البرشا[١٨] **(الشكل رقم ٣)**. ويتمُّ الوصول إليه من عبَّارة ملوي، ثم الوصول إلى البرشا على بُعْد ثلاث كيلومترات من العبَّارة. وعادةً ما تكون الزيارة بصُحْبة خفير الآثار حتى يتم فتح المقابر المنحوتة في الجبل على بُعْد أربع كيلومترات جنوب البرشا. ففي وسط المقابر المصرية القديمة، أُنشئت كنيستان

(17) R.G. Coquin & S.J. Maurice Martin, "Dayr Abu Bifam", *CoptEnc.3*, (ed.) A.S. Atiya, New York, 1991, 696b-967a.

(١٨) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص. ١٥٦.

قبطيتان. توجد واحدة منهما داخل المقبرة رقم "٢٥"، والتى عُثِرَ فيها على بقايا أكتاف وبعض التيجان قبطية الطراز، بالإضافة إلى حنية أو حضن الآب في الناحية الشرقية. وبهذه الكنيسة حجرة جانبية للهيكل. ويُعرف هذا الدير لدى أغلب سكان المنطقة والمناطق المجاورة باسم: "دير أبو فام الجندي".

وجديرٌ بالذِّكْر أنَّ وجود كلِّ هذه العناصر المعمارية، هو دليلٌ قاطع على استخدام هذه المقبرة المصرية القديمة ككنيسة في العصور المسيحية الأولى في مصر، وبالأخص في عصور الاضطهاد الروماني، وكذلك بعد أن أصبحت مصر رسميًّا دولة مسيحية في أواخر النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي. ففي هذه الفترة التاريخية المُبكِّرة، لم تكن الكنائس موجودة بشكلها المعماري والأثري المألوف حاليًّا.

وتجدر بنا الإشارة كذلك إلى بعض الكنائس الأُخرى التي تحمل اسم "القديس أبو فام" مثل:
١ – "كنيسة الشهيد أبو فام الجندي" بقرية المراشدة بالوقف في مدينة بقنا.
٢ – "كنيسة أبو فام الجندي" بالبرجاية بالمنيا وتتبع إيبارشيَّة المنيا وأبو قرقاص وتوابعها.
٣ – "كنيسة القديسة مريم والشهيد أبو فام الجندي" بأوسيم بالجيزة.

الخاتمة:

وختامًا، يُعتَقَد أنَّ اسم "أبو فام" قد أُطلِق على اثنين أو ثلاثة من القدِّيسين الأقباط في مصر. وقد عاش كلٌّ منهم ودُفِن في مكانٍ مختلف عن الآخر. كما يُستَشَف من كلِّ ما سبق تعدُّد وتنوُّع الأديرة والكنائس القبطية التي تُعرَف باسم "القديس أبو فام" في مصر، سواء القديمة منها أو الحديثة. وقد شُيِّدت أغلب هذه المنشآت الدينية في كلٍّ من مصر الوسطى والعُليا في عصورٍ تاريخية مختلفة. واختلفت وتنوَّعت آراء مؤرِّخي العصرَيْن الفاطمي والمملوكي والباحثين الغربيين، حول شخصية "القديس أبو فام" والأماكن الأصلية للأبنية المُكرَّسة باسم هذا القديس. ومنها ما هو موجودٌ حتى اليوم، ومنها ما قد اندثر ولم يتبقَّ له أيُّ أثرٍ.

وتجدر بنا الإشارة إلى أن "القديس أبو فام" هو واحدٌ من مجموعة كبيرة من القدِّيسين والشهداء الذين تحمَّلوا مختلف أنواع الاضطهادات بسبب إصرارهم على تمسُّكهم بعقيدتهم المسيحية، حتى تُوِّجَت مجهوداتهم وتضحياتهم الكبيرة بانتصار دينهم الجديد على كلِّ أشكال الوثنية السابقة.

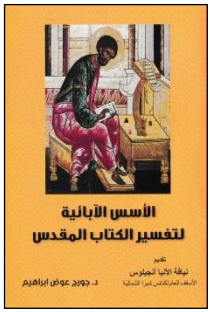

الأُسس الآبائية لتفسير الكتاب المقدس[١]

تقديم:

الأنبا أنجيلوس الأسقف العام لكنائس شبرا الشمالية

إعداد: د. جورج عوض إبراهيم[٢]

هذا الكتاب هو منهج مُبسَّط يُدرَّس لطلبة إعداد خُدَّام ولاجتماعات الشباب في أساسيَّات التفسير الكتابي للآباء. الإنسان المُحبُّ لكلمة الله عليه أن يسعى لفهمها فهمًا صحيحًا، ولا يكون ذلك إلَّا بأن يدرس مدارس الآباء الأوَّلين في تفسيراتهم للكتاب المقدَّس، سواء المعنى الحرفي أو الرمزي أو المثالي أو الأخلاقي. كل هذه التفسيرات لا يمكن الاستغناء عنها في التفسير، وقد استخدمها الآباء. ونستعرض الآن بعض الدروس:

الدرس الأول: الكتاب المقدس هو الشهادة التاريخية لإعلان الله. إنَّ نصوص الكتاب المقدس ليست مجرد نصوص أدبيَّة أو لغويَّة؛ بل هي نصٌّ كنسي، مُرسل بالدرجة الأولى إلى مؤمنين. ولا يمكن أن يُفهم فهمًا صحيحًا خارج خبرة وإيمان الكنيسة. إنَّ أُناس الله القدِّيسين، وهم مُنساقون بالروح القدس، كتبوا لنا في شكل نصوصٍ مكتوبة خِبرة حضور الله، كحدثٍ تاريخي في حياة الكنيسة.

إنَّ الموجودين خارج الجماعة الكنسيَّة الحيَّة، لا يستطيعون أن يُدركوا الحوادث الكتابية، وبالتالي فإن تفسيراتهم لا أساس لها من الصحة، ولا يستطيعون أن يُعبِّروا عن المُحتوى والهدف الحقيقي للحوادث المكتوبة في الكتاب المقدس. هؤلاء الهراطقة يُحاولون أن يُبرهنوا على صحة مواقفهم بشواهد من الكتاب المقدس مُفسِّرين إيَّاها تفسيرًا خاطئًا يختلف عن تفسيرات الكنيسة.

الدرس الثاني: يتكلَّم عن أُسس تفسير الكتاب المقدس، وأهمها: ١- سُكنى الروح القدس في الكنيسة، فالروح القدس يُعطي استنارة للذهن لكي يُفسِّر الحقَّ المُعلن في المسيح تفسيرًا صحيحًا. ٢- تقليد الكنيسة كإطارٍ تفسيري للكتاب المقدس، حيث يُمثِّل التقليد الخبرة الروحية المُشتركة للكنيسة، لذلك هو الإطار الآمِن لتفسير الكتاب.

---

(١) يقع الكتاب في ٩٨ صفحة، طبعة أولى: ٢٠١٩م.

(٢) تنيَّح الكاتب في ١٠/ ٢/ ٢٠٢٢.

الدرس الثالث: يُحدِّثنا عن مكانة الآباء. آباء الكنيسة هم أعضاء الكنيسة الذين عاشوا في الروح القدس حقيقة الإيمان المستقيم. لذلك هم حاملو خبرة الكنيسة الحيَّة، حيث إنهم يقولون ويكتبون ليس فقط اعترافهم الشخصي؛ بل أيضًا شهادة الكنيسة، بواسطة العمل المجمعي. شهادتهم هي نتاج حياتهم المغمورة في نعمة الروح القدس، وهكذا من خلالهم تستمر الحياة الكنسيَّة.

الدرس الرابع: هو عن وحدة الإعلان الإلهي. هدف الكتاب هو إعلان رسالة الله الخلاصيَّة بواسطة ابنه يسوع المسيح، الإله المتأنِّس. الكنيسة هي إسرائيل الجديد، الوارث للوعود القديمة.

الدرس الخامس: عن تفسير الكتاب بحسب القديس كيرلس الكبير. انشغل القديس كيرلس بتفسير الكتاب، وبحديثه عن شخص المسيح. فهو حين يتحدَّث عن المسيح، يُفسِّر الكتاب؛ وحين يُفسِّر الكتاب، يتحدَّث عن المسيح. فهدف الكتاب عنده هو سرُّ المسيح وخلاص الإنسان بواسطته.

الدرس السادس: عن المبادئ التفسيريَّة للقديس كيرلس. يقول القديس إنَّ لدينا هوَّة بين اللغة المخلوقة والحق الإلهي. فالكلمات والمصطلحات البشريَّة هي توفيقيَّة، لأنها لا تستطيع أن تُعلن حرفيًّا الحقائق الإلهيَّة. وعلى المُفسِّر أن يعي هذا التوافق والاستخدام اللغوي حتى لا يضل ...

الدرس الثامن: في هدف الكتاب المقدس. يُشدِّد القديس كيرلس على أنَّ مركز وهدف كلٍّ من العهد القديم والعهد الجديد، هو شخص المسيح. ولا يجب أن نفحص هدف الكتاب المقدس بأن نكتفي بما تقوله النصوص حرفيًّا؛ بل أبعد وأسمى وخلف هذه النصوص. والمُفسِّر لا يجب أن يظلَّ في الحرف، لكن يجب أن يبحث ماذا يريد النص أن يقوله في إطار مُعايشة فكر الكتاب.

الدرس التاسع: عن المنهج الطيبولوجي لتفسير الكتاب المقدس. ويقصد بهذا التعبير: محاولة إدراك حوادث وأشخاص في العهد القديم كنماذجَ أو صورٍ مُسْبَقة ومثالٍ وظِلٍّ عن العهد الجديد، وبالحري عن شخص المسيح وعمله الفدائي.

الدرس العاشر: إنَّ موضوع الكتاب الرئيسي هو سرُّ الخلاص، وتأنُّس الله الكلمة؛ حيث يُمثِّل تأنُّس الابن، كلمة الله، بداية مسيرة تحقيق خطة الثالوث الأقدس، لأجل خلاص البشريَّة.

الدرس الحادي عشر: التفسير الصحيح يتطلَّب معرفة الهدف من التأنُّس. فالهدف من التأنُّس هو شفاء الطبيعة البشرية من المرض الذي أصابها. حيث وَصَف الخطية بالمرض الذي يحتاج لشفاء.

الدرس الثاني عشر: عن كيف أقرأ الكتاب المقدس؟ ١- اقرأه ككلٍّ لا يتجزَّأ. ٢- اقرأه على ضوء الإيمان المستقيم بشخص وطبيعة عمل المسيح. ٣- اقرأه داخل الكنيسة ومجتمع الشركة.

The Cross: A Source of Joy and Glory

While we celebrate the Resurrection feast, it is beneficial for us to reflect on certain aspects of the Cross. In doing so, we would like to present to our readers this 1969 article written by our late Spiritual Father that reflects on the joy and glory stemming from the Cross.

Under this title, there is a blatant paradox. How can the Cross—a symbol of oppression, torture, and shame—be a source of glory and joy? Isn't this inconceivable and thus folly? Yes, indeed, it is. And for that very reason, we have to become fools. This path of the Cross is a must if we are to taste the joy of the Cross. It is imperative if its glory is to come upon us.

For us to encounter the joy and glory of the Cross, we must be willing to become fools[1]. We can temporarily ignore injustice, suffering, and shame if we adopt this mindset. But can we turn a complete blind eye to them?

Many are those who rejoice in the Cross—the Cross of Christ. For upon it He suffered and died, through His suffering and death we have attained redemption, and in redemption, there is the greatest joy, for it is a release from eternal death. Christ has redeemed us from suffering and death, both in their spiritual and eternal senses. As He is an eternal Spirit, the joy of redemption has become both spiritual and eternal.

But to rejoice merely in the suffering and death of anyone other than myself is hard, cruel, and utterly destructive. This kind of joy means not only ignoring suffering and injustice but also ignoring Christ Himself.

The greatest mystery of Christ is that far from representing someone wholly "other," He represents my very own self—every bit of me: my flesh, my bones, my spirit, and everything to do with me. To me, God had always been wholly "other." He is of a nature totally different from mine. He could never have represented me, and I could never have represented Him. This state of affairs prevailed until Christ, the Son of God, became flesh and took on my very nature. From that moment on, He became my type, my representative before the Father, and I also, whenever His Spirit is alive within me, typically represent Him before people who have never known Him. He became a sinner before the Father, seeking God's righteousness for my sake; and I also, clothed in His eternal Spirit, stand before the Father as if I were righteous, as if I were a son, for He brings "many sons to glory" (Heb. 2:10).

Is it then possible that Christ's Cross, i.e., His suffering and death, may be a source of joy and glory to me without my involvement in that suffering or that death? It is absolutely impossible! Whatever belongs to Christ has become my own: His Cross, His glory, His joy, and His suffering—all in one inseparable package. How then can I suffer, rejoice, and be glorified with Him?

From the pulpit, we can get those who hear to join in with Christ's sufferings, glory, and

---

[1] We must interpret the word "fool" in this context according to what St Paul said about the Cross. "Because the foolishness of God is wiser than men, and the weakness of God is stronger than men. " (1 Cor. 1:25).

everything that goes with them. This can be done in all settings, through words and emotions. We can also persuade the listeners that they have become pure and righteous—also in words. We can even invite them to have their share of joy and glory as if joy were an idea—a mere idea and a mere conviction. Nothing remains for the preacher except to cry out Alleluia! And the whole congregation could go dancing and rejoicing at the Cross of Christ. But when the Cross actually enters our lives, dancing stops, shouting stops, and Alleluia is no longer heard. Instead, people ask that the Cross be lifted off their shoulders. And when God holds back, they start to grumble, debate with God, blame, and rebel. Finally, there is a complete breakdown in relations, so the curtain falls on a short, brief love story ending in a tragic abandonment of God.

This type of access to spiritual joy is decisively flawed—a dangerous delusion. Its acquaintance with the Cross only goes as far as words and definitions. It has no roots in reality or truth. So, what is the true path to genuine joy? In other words, what is a realistic Cross? When we suffer blatant and shameful injustice, Christ is unclothed in readiness for crucifixion. When grief and suffering knock at our door, this is Christ being raised on the Cross. When harm befalls us and tribulation eats its way into our hearts, Christ's hands, and feet are nailed to the Cross. When our honor is trampled into the mud, and we forfeit everything, this is when Christ hangs drops his head, letting go of His Spirit.

Therefore, there is no line of demarcation dividing my own Cross from that of Christ. My own experience is just a mere repetition of Christ's: what Christ accomplished for the first time on the Cross is now being applied and credited to me.

* * *

There are three stages to go through for my Cross to be transformed into the joy of Christ.

The First Stage: Contentment

If I truly believe that God is omnipotent and that He presides over everything (*Pantocrator*), I should surrender my whole life to Him, knowing in whom I believe and trust the eternal arms that can preserve me and raise me from death. Such faith and confidence make it easy for me to accept the Cross that I bear, whatever it be: an incurable illness; a thorn in my flesh or in that of someone I love; the betrayal of a brother or a friend who was dear to me; the loss of property; a humiliating degree of poverty; injustice, persecution, or tyranny; calumny, slander, or the lash of the tongue—whatever form it takes, it is a Cross to bear. So long as my eyes are fixed on Christ, my Savior, and so long as His Cross and sufferings are etched on my heart and flesh, I will accept them. Yes, I will accept my Cross, for to me, it is an experience that is continually renewed. However, it often happens that as soon as I accept my Cross, God tries to probe my acceptance, or rather, He wants me to probe my own acceptance. He thus presses it a bit harder and extends the time of tribulation until I am sure of my contentment, and therefore, He Himself becomes sure of my contentment. It is here, and only here, that the first mystical stage of the Cross is reached when contentment turns into thankfulness, which is a work of grace. Thankfulness now becomes a near-miraculous gift, for

thankfulness is usually commensurate only with welfare. But thankfulness here also goes hand in hand with hardships. So these hardships turn out for my own good by means of the Cross and the power of contentment.

Second Stage: Thanksgiving

After the first ecstatic amazement at the attainment of thankfulness amidst suffering and the depth of tribulation, a person will suddenly catch themselves again and be startled at ones' self: How can I be thankful while being insulted? And why should I give thanks to God while He refuses to exempt me from hardship, even though it is in His power to do so? The soul here enters into a struggle with the gift. Thanksgiving grapples with the agony of pain. But when man dignifies the gift, offers thanks to God, and defies suffering and tribulation night and day to give thanks again, the second miracle occurs. The second mystery of the Cross comes into being when thanksgiving turns into joy, thus becoming a great gift from God.

The Third Stage: The Meaning of Joy

What has happened? How could I find joy in deprivation and injustice? How could I rejoice in the hell of tribulation and the inferno of pain?

Joy is the decisive proof of the soul's exit from the sphere of agony. It also means that a person ceases to dwell on the painful reality once and for all. But how did this exit from the realm of misery actually take place? How did I disdain pain, injustice, and shame while living in the very core of tribulation and nailed up on my own Cross?

Here is the third mystery of the Cross, i.e., the union. What are the terms of this union? The answer is harmony and unity with God's will and His pleasure. My Cross has been God's will for me. When I accepted it, I accepted the will of God, and when I offered thanks for it, I offered thanks to God's will, and thus His will overflowed to me. But when I rejoiced in my Cross, my own will became one with God's will, and so the glory and joy of the Cross—which is God's ultimate delight—alighted on me: "But rejoice in so far as you share Christ's sufferings, that you may also rejoice and be glad when His glory is revealed" (1 Pet. 4:13).

Brothers and sisters, rejoice in your Cross that God's delight may alight on you!

1969

St. Justin the martyr

The Eucharist, a sacrifice of thanksgiving

"And the offering of fine flour, sirs", I said "which was prescribed to be presented on behalf of those purified from leprosy, was a type of the bread of the Eucharist, the celebration of which our Lord Jesus Christ prescribed, in remembrance of the suffering which He endured on behalf of those who are purified in soul from all iniquity, in order that we may at the same time thank God for having created the world, with all things therein, for the sake of man, and for delivering us from the evil in which we were, and for utterly overthrowing principalities and powers by Him who suffered according to His will".

Dialogue wih Trypho 41, ANF, Vol. I, P. 215

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Ἰουστίνου Μάρτυρος

Καὶ ἡ τῆς σεμιδάλεως δὲ προσφορά, ὦ ἄνδρες, ἔλεγον, ἡ ὑπὲρ τῶν καθαριζομένων ἀπὸ τῆς λέπρας προσφέρεσθαι παραδοθεῖσα, τύπος ἦν τοῦ ἄρτου τῆς εὐχαριστίας, ὃν εἰς ἀνάμνησιν τοῦ πάθους, οὗ ἔπαθεν ὑπὲρ τῶν καθαιρομένων τὰς ψυχὰς ἀπὸ πάσης πονηρίας ἀνθρώπων, Ἰησοῦς Χριστὸς ὁ κύριος ἡμῶν παρέδωκε ποιεῖν, ἵνα ἅμα τε εὐχαριστῶμεν τῷ θεῷ ὑπέρ τε τοῦ τὸν κόσμον ἐκτικέναι σὺν πᾶσι τοῖς ἐν αὐτῷ διὰ τὸν ἄνθρωπον, καὶ ὑπὲρ τοῦ ἀπὸ τῆς κακίας, ἐν ᾗ γεγόναμεν, ἠλευθερωκέναι ἡμᾶς, καὶ τὰς ἀρχὰς καὶ τὰς ἐξουσίας καταλελυκέναι τελείαν κατάλυσιν διὰ τοῦ παθητοῦ γενομένου κατὰ τὴν βουλὴν αὐτοῦ.

Dialogus cum Tryphone, Vandenhoeck-Ruprecht, Göttingen ,1915, §41 (PG 6, 564)

للقديس يوستينوس الشهيد

الإفخارستيا ذبيحة شكر!

(ترجمة النص اليوناني الأصلي المنشور في باطن الغلاف)

[فقلتُ أيها الرجال،

إن تقدمة السميذ التي استلموا

أن يُقدِّموها من أجل المتطهِّرين من البَرَص (لا14:10)

كانت رمزًا لخبز الإفخارستيا

الَّذي سلَّمَه لنا يسوعُ المسيحُ ربُّنا،

لنصنعه تَذكارًا للآلام الَّتي تألَّم بها

من أجل البشر الذين يُطهَّرون

في نفوسِهم من كلِّ شرٍّ؛

وذلك لكي نشكر الله

على عدة أمور في آنٍ واحد:

– على خلقته الكونَ وكلَّ ما فيه من أجل الإنسان،

– وعلى تحريره لنا من الشرِّ الَّذي كنَّا فيه،

– وعلى إبادتِه الرئاسات والسلاطين إبادةً تامَّةً

بواسطة ذاك الَّذي صار قابلًا للألم بحسب إرادته].

الحوار مع تريفو اليهوديّ 41

ST. MARK April 2023

Monthly Review

Christ washing his disciples' feet

Here Christ is washing the feet of his disciples beginning with St Peter, while the latter pointing to his head says: "Lord, not my feet only but also my hands and my head!" (John 13:9 NRSV).

[Triptych with the events of the Holy Week. Unknown provenance, 13th century.]